المبحث الثانى

رواية أخبار طفولة الرسول ﷺ للطفل

رواية أخبار طفولة الرسول ﷺ للطفل

تمهيد :

لقد قصّ الله تعالى علينا طفولة بعض الأنبياء والرسل، مثل سيدنا إسماعيل، وموسى، وعيسى، ويحيى، عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام؛ لتكون إخبارًا للأمة المحمدية فيحفظوها، ويحُفِّظوها أبناءهم، ويأخذوا منها العبر والعظات، ويشاهدوا قدرة الله تعالى فى خلق المستحيل على البشر، وأنه بالنسبة إليه سبحانه أهون عليه لأنه الخالق . فتمتزج القصة القرآنية، وهى تتحدث عن ولادة رسول أو نبي، بروح سامعها؛ وتسرى العقيدة فى النفس من خلال نموذج محسوس ملموس فى عالم الواقع، فتقوى العقيدة بالقصة القرآنية، ويزداد الإيمان من خلال تلاوة الآيات بذلك .

فتحديث الأطفال عن القصص القرآنى عامة، وعن طفولة بعض الأنبياء والرسل عليهم وعلى نبينا أفضل الصلاة والسلام خاصة يزيد من الحرارة الإيمانية لدى الأطفال، كما يشعرهم بأن الإسلام هو الدين الحق الذى يؤمن بالرسالات جميعًا، وأنهم أصحاب حق فى قيادة البشرية فى المستقبل، ودعوتها إلى القرآن بكل فخر واعتزاز؛ لأن المسلم هو الوحيد الذى لم يُخبِّئ شيئًا من آيات القرآن، ولم يسترها، وإنما هو واضح المعالم فى دينه الذى يعتمد اعتماداً أساسياً على القرآن، وعلى سنة رسوله ﷺ .

ولكن ما هى الحكمة فى عدم ذكر طفولة سيدنا محمد ﷺ فى القرآن، كما ذكرت طفولة إخوته من الأنبياء والمرسلين ممن سبقوه؟! هذه بعضها :

١ـ أن طفولة الأنبياء والمرسلين السابقين قد نُسيت، أو حُرِّفت، فذكرها القرآن

لحفظها، ولتعلِّم المسلم بحقائق تاريخية سابقة تُعينه على التعرف على تاريخ الرسل منذ طفولتهم، ودعاء آبائهم لهم أن يهبهم الله تعالى إياهم . فيكون المسلم هو الوحيد الذى يعلم دقائق وتفاصيل حياة الأنبياء والرسل، فيدعو أتباع الرسل إلى الإيمان بالقرآن وبسيدنا محمد ﷺ الذى أتى بهذه التفاصيل، وهو لم يتعلم من أحد تلك الأخبار، وإنما هى آيات تتنزل عليه فيعلمها الناس كل الناس .

٢ ـ لو ذكرت طفولة سيدنا محمد ﷺ فى القرآن لقال الكفار على مدار التاريخ : إن محمداً يمدح نفسه، ويُخلّد ذكْراه فى القرآن، بينما نرى القرآن عندما يتحدث عن نبينا ﷺ يذكر نبوته، ورسالته، ودعوته للكفار، وجهاده لهم .

٣ ـ إن الله تعالى حفظ طفولة سيدنا محمد ﷺ بحفظه للقرآن، وشارح القرآن هو السنة، فحُفِظَا معاً بتأييد الله تعالى، وحفظه، ونصرته لنبيه ﷺ .

٤ ـ أن الله تعالى شرّف الأمة المحمدية، وخصها بحفظ سيرة نبيها ﷺ بكامل دقائقها من طفولته حتى انتقاله للرفيق الأعلى حفظاً دقيقاً، مفصَّلاً، بخلاف الأمم السابقة، التى لم تحفظ، وإن حفظت شيئاً فقد نالته الأقلام بالتحريف والتبديل، وبذلك أظهر الله تعالى مكانة الأمة المحمدية، ودقتها العلمية فى الحفظ، حتى غدا علم تدوين السنة النبوية من خصائص الأمة المحمدية، ولم تستطع البشرية فى تاريخها الطويل أن تجد ثغرة فى الطعن به، أو التأثير عليه، على الرغم من محاولاتها المتكررة .

٥ ـ إن طفولة سيدنا محمد ﷺ كانت فى غاية النظافة والطهر والاستقامة فى ظل مجتمع جاهلى يشجع على الفاحشة، ويدعو للثأر لأتفه الأسباب، ويسجد للحجارة التى أسماها أصناماً، حتى غدا للجميع وبلسانهم جميعاً وصف رسول الله ﷺ (الصادق الأمين) . والذى لم ينل هذا الشرف أى إنسان عاش فى تلك المجتمعات الهابطة، ولو علم كفار مكة عن طفولة سيدنا محمد ﷺ أى شىء

يُشينه أو يعيبه لتسارعوا إليه، ونثروه فى مواجهته، وهكذا انبلج الحق ناصعاً، والفضل ما شهدت به الأعداء .

وبذلك ازداد عدد حفاظ سيرة طفولة سيدنا محمد ﷺ من المؤمنين به، ومن أعدائه أيضاً، وهذا من أسرار تأييد الله تعالى لنبيه ﷺ .

تلك ملامح من حِكَم وأسرار، ولعل البعض يزيد، وسوف يزيد، إن شاء الله تعالى، أحببت أن أقدمها للمهتمين بتربية الأبناء؛ ليتعرفوا أكثر على أهمية رواية طفولة سيدنا وقائدنا محمد ﷺ، وتحفيظ سيرته الشريفة لهم .

وقد أحببت تقديم طفولته ﷺ فى هذا الكتاب، وإن كان هذا الموضوع من اختصاص كتب السيرة الشريفة، ولكن لتأصيل أساس فى المنهج التربوى النبوى فى تثبيت عقيدة الطفل المسلم، ألا وهو ربطه بنبيه ورسوله ﷺ بدءاً من طفولته إلى انتقاله إلى الرفيق الأعلى .

وإليك أهم أحداث طفولته ﷺ :

الأساس الأول : حفظ وطهارة نسبه الشريف ﷺ وتبشير الرسل به :

١ـ حفظ نسب النبى ﷺ من جهة أبيه :

قال البخارى فى كتاب: المناقب، باب : مبعث النبى ﷺ :

محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبد المُطَّلِب بنِ هاشم بنِ عبدِ مناف بن قُصَى بنِ كِلاب بنِ مُرّةَ بنِ كعب بن لؤى بن غالبِ بن فِهر بنِ مالكِ بن النضرِ بن كنانةَ بن خُزيمةَ بنِ مُدْرِكةَ بنِ إلياسَ بن مُضَر بنِ نزارِ بن مَعَدّ بنِ عدنان .

وهذا النسب ذكره كل من ابن هشام فى سيرته (١/ ١) وابن سعد (١/ ٥٥).

٢ـ حفظ نسب النبى ﷺ من جهة أمه :

قال ابن هشام : وأمهُ آمنة بنتُ وهب بن عبد مناف بن زُهرةَ بن كِلاب بن مُـرَّةَ ابن كعب بنِ لُؤى بنِ غالب بنِ فِهْر بن مالك بنِ النضرِ [بنِ كنانة] (١) .

٣ ـ فضل نسب النبى ﷺ وطهارته :

روى مسلم فى كتاب : الفضائل، باب : فضل نسب النبى ﷺ ،عن واثلة بن الأسقع قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول :

«إن الله اصطفى كِنَانةَ من وَلَدِ إسماعيل، واصطفى قُريشاً من كِنَانةَ، واصطفى من قريش بنى هاشم، واصطفانى من بنى هاشم» .

وفى رواية الترمذى : «إن الله اصطفى من ولد إبراهيم إسماعيل، واصطفى من ولد إسماعيل بنى كنانة ... الحديث» (٢) .

وروى الترمذى، وقال : حديث حسن، عن العباس بن عبد المطلب ﷺ قال: جاء العباسُ إلى رسول الله ﷺ، فكأنه سمع شيئاً، فقام النبى ﷺ على المِنْبر فقال : «مَنْ أنا؟» قالوا : أنت رسول الله، عليك السلام، قال النبى ﷺ : «أنا محمدُ بنُ عبدِ الله بنِ عبدِ المطلب، إن الله خلقَ الخلقَ، فجعلنى فى خيرهم فِرْقةً، ثم جعلهم فِرْقَتين فجعلنى فى خيرهم فِرقةً، ثم جعلهم قبائلَ فجعلنى فى خيرهم قبيلةً، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلنى فى خيرهم بيتاً، وخيرِهم نَفْساً» . ورواه أحمد، والبيهقى فى «الدلائل».

٤ـ سيدنا محمد ﷺ ابن الذبيحين :

تذكر كتب السيرة أن جدّ النبى ﷺ عبد المطلب نذر إن رُزق عشرة من الذكور، وبلغوا : أنه سيذبح العاشر منهم، فكان العاشر عبد الله والد النبى ﷺ، فهمّ بذبحه، إلا أن قومه منعوه من أن تصبح عادة فى العرب، وجرى فداؤه بمائة من البعير،

(١) رادها البيهقى فى الدلائل (١/ ١٨٣) ،وابن سعد فى الطبقات (١/ ٥٩) .
(٢) انظر بتوسع : الجامع فى السيرة النبوية للأستاذة سميرة زايد .

وهكذا أصبح سيدنا محمد ﷺ ابن الذبيحين : الذبيح الأول : سيدنا إسماعيل [1] ، والذبيح الثانى : عبد الله والد النبى ﷺ، وهذا لمزيد شرف، وفضل النبى ﷺ على جميع الخلق .

وفى تسمية والد النبى ﷺ بعبد الله، وهو أحب الأسماء إلى الله تعالى، إشارة إلى نجاته من النار، إذ قلّ من العرب من تسمى بعبد الله، وإنما كانوا يسمون بعبد العزى، وبعبد الحكم، وعبد اللات [2] .

٥ ـ تقدم نبوة سيدنا محمد ﷺ على نفخ الروح فى آدم عليه السلام :

عن العِرْباض بن سارية ﷺ عن النبى ﷺ قال : «إنى عند الله فى أمِّ الكتاب لخاتَم النبيين، وإن آدم لَمُنْجَدِلٌ فى طينته» . رواه أحمد، والحاكم، وصححه .

قال الصالحى فى سبل الهدى والرشاد (١/ ٧٧-٧٨) : والمعنى : كُتبتُ خاتم الأنبياء فى الحال الذى آدم مطروح على الأرض حاصل فى أثناء تخلُّقه، لَمَّا يُفْرغ من تصويره، وإجراء الروح .

٦ـ أخذ الله تعالى الميثاق على الأنبياء والرسل بالإيمان بسيدنا محمد ﷺ ونصرته إذا بُعث :

قال الله تعالى : ﴿ وَإِذْ أَخَذَ ٱللَّهُ مِيثَٰقَ ٱلنَّبِيِّـۧنَ لَمَآ ءَاتَيْتُكُم مِّن كِتَٰبٍ وَحِكْمَةٍ ثُمَّ جَآءَكُمْ رَسُولٌ مُّصَدِّقٌ لِّمَا مَعَكُمْ لَتُؤْمِنُنَّ بِهِۦ وَلَتَنصُرُنَّهُۥ ۚ قَالَ ءَأَقْرَرْتُمْ وَأَخَذْتُمْ عَلَىٰ ذَٰلِكُمْ إِصْرِى ۖ قَالُوٓا۟ أَقْرَرْنَا ۚ قَالَ فَٱشْهَدُوا۟ وَأَنَا۠ مَعَكُم مِّنَ ٱلشَّٰهِدِينَ ﴿٨١﴾ فَمَن تَوَلَّىٰ بَعْدَ ذَٰلِكَ فَأُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْفَٰسِقُونَ ﴿٨٢﴾ ﴾ [آل عمران] .

روى ابن جرير عن على ـ كرم الله وجهه ـ فى تفسير الآية قال : لم يبعث الله نبياً،

(١) تزعم اليهود أن الذبيح كان إسحاق عليه السلام، وهذا كذب وزور؛ لأن إسماعيل وأمه كانا فى مكة، وتوارث أهل مكة السعى بين الصفا والمروة، ورمى الجمرات، والذبح كله بمكة لا فى الشام انظر : رد ابن القيم ـ رحمه الله ـ فى المواهب اللدنية للقسطلانى (١/ ١١١) المكتب الإسلامى .

(٢) انظر بتوسع : سبل الهدى والرشاد (١/ ٢٤٧)، وسيأتى برهان ذلك إن شاء الله .

آدم فمن بعده، إلا أخذ عليه العهدَ فى محمد ﷺ : لـئن بُعـث وهـو حـى ليـؤمنُنّ بـه، ولينصُرنّه، وأمره بأخذ العهد على قومه .

وقال الحافظ تقى الدين السبكى ـ رحمه الله : فى هذه الآية من التنويه بالنبى ﷺ وعظيم قدره ما لا يخفى؛ أنه على تقدير مجيئه فى زمانهم يكون مُرْسلاً إليهم، فتكـون نبوته ورسالته عامةً لجميع الخلـق مـن زمـن آدم إلى يـوم القيامـة، ويكـون الأنبيـاء وأممهم كلهم مـن أمتـه، ويكـون قولـه ﷺ : «بعثـتُ إلى النـاس كافـة» (رواه أحمـد والبيهقى والطبرانى فى الكبير) لا يختص بـه النـاسُ فى زمانـه إلى يـوم القيامـة، بـل يتناول من قبلهم أيضاً»[1] .

٧ ـ سيدنا محمد ﷺ دعاء سيدنا إبـراهيم، وبـشارة سـيدنا عيـسى علـيهم الصلاة والسلام :

عن أبى أمامة ﷺ قال : قلت : يا نبى الله، مـا كـان أول بـدء أمـرك؟ قـال ﷺ : «دعوةُ أبى إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمى نوراً أضاءت منه قصور الشام»[2] . رواه أحمد و الطبرانى والبيهقى فى الدلائل، وقـال الهيثمـى فى المجمـع (٨/ ٢٢٢) : وإسناده حسن .

وهذا تفسير قوله تعـالى : ﴿ رَبَّنَا وَٱبْعَثْ فِيهِمْ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُواْ عَلَيْهِمْ ءَايَـٰتِكَ وَيُعَلِّمُهُمُ ٱلْكِتَـٰبَ وَٱلْحِكْمَةَ وَيُزَكِّيهِمْ ۚ إِنَّكَ أَنتَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٢٩﴾ ﴾ [البقرة]. ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَـٰبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِنِّى رَسُولُ ٱللَّهِ إِلَيْكُم مُّصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَىَّ مِنَ ٱلتَّوْرَىٰةِ وَمُبَشِّرًۢا بِرَسُولٍ يَأْتِى مِنۢ بَعْدِى ٱسْمُهُۥٓ أَحْمَدُ ۖ فَلَمَّا جَآءَهُم بِٱلْبَيِّنَـٰتِ قَالُواْ هَـٰذَا سِحْرٌ مُّبِينٌ ﴿٦﴾ ﴾ [الصف] .

---

(١) انظر بتوسع : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد (١/ ٩٠) للإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى (ت ٩٤٢هـ) ط . دار الكتب العلمية .

(٢) انظر : صحيح السيرة لإبراهيم العلى (ص٢٥).

الأساس الثانى : الإرهاصات [1] التى حصلت قبل مولده الشريف ﷺ :

١ـ رؤيا جد النبى ﷺ عبد المطلب لحفر ماء زمزم :

عن على ـ كرم الله وجهه ـ قال : «قال عبد المطلب : إنى لنائم فى الحجر إذ أتانى آت، فقال لى : احفر طيبة، قلت : وما طيبة ؟قال : ثم ذَهَبَ عنى . قال : فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه، فجاءنى فقال : احفر برّة، قال : قلت : وما برّة ؟ قال : ثم ذهب عني، فلما كان الغد رجعت إلى مضجعى فنمت فيه، فجاءنى فقال : احفر المضنونة، قال : قلت : وما المضنونة ؟ قال : ثم ذهب عنى . فلما كان الغد رجعت إلى مضجعي، فنمت فيه؛ فجاءني؛ فقال: احفر زمزم، قال : قلت : وما زمزم ؟ قال : لا تنزف أبداً، ولا تزم؛ تسقى الحجاج الأعظم، وهى بين الفَرْث والدّم، عند نقرة الغراب الأعصم، عند قرية النمل .

قال : فلما بَيّن شأنها، ودلّ على موضعها، وعرف أنه قد صدق، غدا بمعوله، ومعه ابنه الحارث بن عبد المطلب، وليس معه يومئذ ولد غيره، فحفر فيها، فلما بدا لعبد المطلب الطى كَبَّرَ [2] ، فعرفت قريش أنه قد أدرك حاجته، فقاموا إليه، فقالوا : يا عبد المطلب، إنها بئر أبينا إسماعيل، وإن لنا فيها حقًا، فأشركنا معك فيها، قال : ما أنا بفاعل إن هذا الأمر قد خُصصت به دونكم، وأُعطيته من بينكم، قالوا له : فأنصفنا، فإنا غير تاركيك حتى نخاصمك فيها، قال : فاجعلوا بينى وبينكم من شئتم أحاكمكم إليه، قالوا : كاهنة بنى سعد بن هذيم، قال : نعم، وكانت بأشراف الشام .

فركب عبد المطلب ومعه نفر من بنى أمية، وركب من كل قبيلة من قريش نفر، فخرجوا والأرض إذ ذاك مفاوز، حتى إذا كانوا ببعضها نفَدَ ماءُ عبد المطلب وأصحابه، فعطشوا حتى استيقنوا بالهلكة، فاستسقوا من كانوا معهم فأبوا عليهم،

---

(١) وهى الأمور الخارقة للعادة، فتسمى قبل البعثة إرهاصات، وبعد نزول الوحى تسمى معجزات .

(٢) أرأيت حنيفية عبد المطلب بالتكبير فى قوله : الله أكبر، فلم يتلفظ بكلمة الأصنام، ولا كلمة الشرك بالله تعالى !! وصدق الله تعالى :﴿ وَتَقَلُّبَكَ فِي ٱلسَّٰجِدِينَ ﴿٢١٩﴾ ﴾ [الشعراء] .

وقالوا : إنّا بمفازة، وإنا نخشى على أنفسنا مثل ما أصابكم، فقال عبد المطلب : إنى أرى أن يحفر كلُّ رجل منكم حفرته لنفسه بما لكم الآن من القوة . فكلما مات رجل دفعه أصحابه فى حفرته ثم واروه، حتى يكون آخرهم رجلاً واحداً، فضيعة رجل واحد أيسر من ضيعة ركب جميعه؛ فقالوا : نِعْمَ ما أمرتَ به .

فحفر كل رجل لنفسه حفرة، ثم قعدوا ينتظرون الموتَ عَطَشاً .

ثم إن عبد المطلب قال لأصحابه : والله، إن إلقاءنا بأيدينا هكذا للموت لاضربٌ فى الأرض، ولا نبتغى لأنفسنا لعجز، فعسى الله أن يرزقنا ماءَ ببعض البلاد، ارْتحلوا، فارتحلوا حتى إذا بعث عبد المطلب راحلته انفجرت من تحت خفّها عينُ ماءٍ عذبٍ، فكبّر عبد المطلب [1] ، وكبّر أصحابه، ثم نزل فشرب، وشرب أصحابه، واستسقوا حتى ملؤوا أسقيتهم، ثم دعا قبائل قريش ـ وهم ينظرون إليهم فى جميع هذه الأحوال ـ فقال : هَلمُّوا إلى الماء فقد سقانا الله، فجاؤوا فشربوا، واستقوا كلهم، ثم قالوا : قد والله قضى لكَ علينا، والله ما نخاصمك فى زمزم أبداً، إن الذى سقاك هذا الماء بهذه الفلاة هو الذى سقاك زمزم، فارجع إلى سقايتك راشداً، فرجع، ورجعوا معه، ولم يصلوا إلى الكاهنة، وخَلَّوا بينه وبين زمزم» . رواه ابن إسحاق، وقال : حدثنى يزيد بن حبيب ... [2] .

٢ـ قصة أصحاب الفيل، وظهور إيمان عبد المطلب بالله تعالى، ودعاؤه له:

نقل فيما يلى قصة أصحاب الفيل من أوسع كتب السيرة، ومن أوثقها ألا وهو: (سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد) لمؤلفه العلامة الإمام محمد بن يوسف الصالحى الشامى والمتوفى سنة (٩٤٢هـ) (١/ ٢١٤) وذلك لما يتمتع من

(١) أرأيت إلى إكرام الله تعالى لعبد المطلب جدّ رسول الله ﷺ، وتكبيره عند حصوله على الماء، وشكره الله تعالى .

(٢) انظر : سيرة ابن هشام (١/ ١٤٢-١٥٥)، ورواه البيهقى فى الدلائل (١/ ٩٣-٩٥) وعبد الرزاق فى مصنفه (٥/ ٣١٤) وابن سعد فى طبقاته (١/ ٨٣)، والحديث صحيح من طريق البيهقى وابن هشام، انظر : صحيح السيرة (ص٣٥) .

استدراكات، وشرح، وتفصيل لبعض المواقف [1].

فى قصة إهلاك أصحاب الفيل :

وذلك عام ولادته ﷺ على الصحيح الذى عليه أكثر العلماء .

وكان إهلاكهم تشريفاً له ﷺ ولبلده، وإلا فأصحاب الفيل كانوا نصارى أهل كتاب، وكان دينهم إذ ذاك أقربَ حالاً مما كان عليه أهل مكة؛ لأن أهل مكة كانوا عُبَّاد أوثان، فنصرهم الله تعالى نصرًا لا صُنْع للبشر فيه، ولسان حال القدر يقول : لم ننصركم يا معشر قريش على الحبشة لخَيْريتكم عليهم، ولكن صيانةً للبيت العتيق الذى نشرّفه ونعظّمه ونوقره ببعثة النبى الأُمّى خاتم الأنبياء محمد ﷺ .

قال الله سبحانه وتعالى : بسم الله الرحمن الرحيم: ﴿أَلَمْ تَرَ﴾ الخطاب للنبى ﷺ، أى : ألم تعلم . قدّره على وجودِ علمه بما يَذْكر . وقيل : الاستفهام هنا للتعجب، إذ هو أمرٌ منقول نقلَ المُتواترِ . فكأنه قيل : قد علمتَ أو تعجَّب: ﴿كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ﴾ عبَّر بكيف دون ما؛ لأن المراد تذكير ما فيها من وجوه الدلالة على كمال عِلْم الله تعالى وقُدْرته وعزة بيته وشرف رسوله ﷺ :فإنها من الإرهاصات لنبوّته؛ إذ مجىء تلك الطيور على الوصف المنقول من خوارق العادات والمعجزات المتقدمة بين أيدى الأنبياء: ﴿بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ﴾ محمود . ﴿أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ﴾ أى : يجعل كيدهم فى هدم الكعبة: ﴿فِى تَضْلِيلٍ﴾ خسَار وهلاك بأن أحرق البيت الذى بنوه قاصدين أن يرجع حجُّ العرب إليه، وبأن أهلكهم لّما قصدوا هدمَ الكعبة بيت الله تعالى ﴿وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا﴾ اسم جمع يجوز تأْنيثه وتذكيره ﴿أَبَابِيلَ﴾ جماعات، قيل : لا واحد له وقيل : واحده : أَبُول، أو إبّال، أو إبِيّل كعَجُول، ومفتاح، ومسكين . وعلى تذكير الطير قرئ: «يرميهم»بالمثناة التحتية . وقيل : الضمير للرب سبحانه ﴿بِحِجَارَةٍ﴾ فوق العدسة ودون الحمصة، كما فى أكثر الأخبار، مكتوب على كل حجر اسم مَرميّه،

(١) قام بتحقيقه كل من الشيخين : عادل أحمد عبد الموجود وعلى محمد معوض، وطبعته دار الكتب العلمية .

يحمل كلُّ طائر ثلاثةَ أَحجار : واحداً بمنقاره وحجرين برجليه ﴿ مِّن سِجِّيلٍ ﴾ طين مطبوخ ﴿ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ﴾ كورق زرع أَكلته الدواب وروثته فيبس وتفرقت أَجزاؤه، شبّه تفرق أَجزائهم بتفرق أَجزاء الرَّوث .

الإشارة إلى القصة على وجه الاختصار :

كان ذو نُوَاس[1] آخر ملوك اليمن مشركًا، وهو الذى قَتل أَصحاب الأخدود، وكانوا نصارى قريبًا من عشرين أَلفًا فنجا منهم دَوْس ذو ثعلبان، فذهب فاستغاث بقيصر ملك الروم، وكان نصرانيًا، فكتب له إلى النجاشى ملك الحبشة لكونه أَقرب إليهم، فبعث معه أَميرين : أَرياط وأَبرهة بن الصباح أَبا يَكْسوم فى جيش كثيف، فدخلوا اليمن فجاسوا خلالَ الديار واستلبوا المُلْك من حِمْير، وهلك ذو نُوَاس غريقاً فى البحر .

واستقل الحبشةُ بملك اليمن وعليهم هذان الأَميران أَرْيَاط وأَبْرهَة، فاختلفا فى أَمرهما وتصاوَلا وتقاتلا، وتصّافّا ، فقال أَبرهة لأَرياط : إنه لا حاجة بنا إلى اصطلام الجيش بيننا، ولكن ابرزْ إلى وأبرزُ إليك، فأَيّنا قتلَ الآخرَ استقل بالملك بعده . فأَجابه إلى ذلك، فتبارزَا وخلْف كل واحد منهما فتاه، فحملَ أَرياطُ على أَبرهة فضربه بالسيف فشرمَ أَنفه وشق وجهه، وحمل عَتودة مَوْلَى أَبرهة على أَرياط فقتله، ورجع أَبرهة جريحاً، فداوى جرحه فبرئ، واستقلَّ بملْك الحبشة باليمن .

فكتب إليه النجاشى يلومه على ما كان منه ويتوعده، وحلف لَيطأَنَّ بلاده

---

(١) ذو نُواس الحِميرى : آخر ملوك حِمير فى اليمن . وهو صاحب الأخدود المذكور فى القرآن الكريم . كان يدين باليهودية، وبلغه أن أهل نجران مقبلون على النصرانية، فسار إليهم وحفر أخاديد وملأها جمراً وجمع أعيان المتنصرين منهم، فعرضهم على النار، فمن رجع إلى اليهودية نجا، ومن أبى هوى . واتفق الرومان والحبشة على قتاله، فزحف النجاشى وكان على النصرانية، بجيش كبير، فقاتله ذو نواس على ساحل البحر الأحمر عند عدن، فكان الظفر للنجاشى، وخاف ذو نواس الأسر فأطلق جواده نحو البحر، فألقى نفسه راكباً فمات غريقاً . قال النويرى : وهو آخر من ملك اليمن من قحطان، فجميع ما ملكوا من السنين ثلاث آلاف سنة واثنتان وثمانون سنة . توفى سنة (١٠٢) ق.هـ الأعلام (٣/ ٩٢٨) . قاله محققو كتاب سبل الهدى والرشاد .

وليَجُزَّنَّ ناصيته، فأَرسل إِليه أَبرهة يترفقَّ له ويصانعه، وبعث مع رسوله بهدايا وتحف وبجراب فيه تراب اليمن، وجزَّ ناصيته وأَرسلها معه ويقول فى كتابه : لِيَطأَ الملِك على هذا التراب فيبرَّ قسَمه، وهذه ناصيتى قد بعثت بها إليك، وأَنا عبدُ الملك .

فلما وصل ذلك إليه أَعجبه ورضِى عنه وأَقرَّه .

ثم إن أَبرهة رأى الناسَ يتجهزون أيامَ الموسم للحج إلى بيت الله الحرام فسأل : أَين يذهب الناس ؟ فقيل له : يحجّون إلى بيت الله بمكة . قال : ما هو ؟ قالوا : من حجارة ؟ قال : فما كسوته ؟ قالوا : ما يأْتى من ها هنا من الوصَائل . قال : والمسيح لأَبْنينَّ لكم خيرًا منه .

فبنى لهم كنيسة هائلة بصنعاء رفيعة البناء مزخرفة الأَرجاء، فسمتها العرب القُلَّيْس لارتفاعها؛ لأن الناظر إليها يكاد تسقط قلنسوته عن رأسه لارتفاع بنائها، ونقل من قصر بلقيس ما تحتاج إليه، واستذَلَّ أَهلَ اليمن فى بنيان هذه الكنيسة، وبناها بالرخام المجزَّع والأبيض والأحمر والأصفر والأسود، وحلاه بالذهب والفضة وفصل بينهما بالجواهر، وجعل فيها ياقوتة حمراء عظيمة، ونصب فيها صُلْباناً من الذهب والفضة ومنابر من العاج والآبنس، وكان يوقد فيها بالمندل ويلطخ جُدرها بالمسك، وكان حُكمه فى العامل إذا طلعت عليه الشمسُ قبل أَن يأخذ فى عمله أَن يقطع يده، فنام رجل منهم ذات يوم حتى طلعت الشمس فجاءت معه أمّه وهى امرأة عجوز فتضرعت إليه تشفع لابنها وأبى إلا أن يقطع يده، فقالت:اضرب بمعْولك اليوم لك وغداً لغيرك . فقال : ويحك ما قلت ؟ قالت: نعم، صار هذا الملك من غيرك إليك، وكذلك يصير إلى غيرك فأخذته موعظتُها وأعفى الناسَ من ذلك .

ثم كتب إلى النجاشى : إنى قد بنيت لك أيها الملك كنيسة لم يُبْن مثلها لملك قبلك، ولست بِمُنْتهٍ حتى أَصْرف حج العرب إليها . فأمر الناس فحجوها، فحجه

كثير من قبائل العرب سنين، ومكث فيها رجال يتعبدون ويتألّهون ونسكوا له .

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى : فلما تحدثت العرب بكتاب أبرهة ذلك إلى النجاشى غضب رجل من النَّسَأَة أحد بنى فُقَيْم، فخرج إلى القُلَيْس فقعد فيها، يعنى : أحْدَث، ثم خرج فلحق بأرضه .

وقال ابن سعد ـ رحمه الله تعالى: وكان نُفَيل بن حبيب الخَثْعمى يُوَرِّض له ما يكره، فأمهَل حتى إذا كان ليلة من الليالى لم ير أحداً يتحرك فقام فجاء بعذرة فلطخ بها قِبْلته، وجمع جيفاً فألقاها فيها .

وقال مقاتل ـ رحمه الله تعالى : إن فتية من قريش دخلوها فأطلقوا فيها ناراً وكان يوماً فيه هواء شديد فاحترقت وسقطت . انتهى .

فأخبر بذلك أبرهة فقال : من صنع هذا ؟ قيل : صنعه رجالٌ من أهل هذا البيت الذى يحجه العرب، يعنى أنها ليست لذلك بأهل .

فغضب غضبًا شديدًا، وحلف لَيسيرنَّ حتى يهدم الكعبة وينقضها حجرًا حجرًا، وكتب إلى النجاشى يخبره بذلك ويسأله أن يبعث إليه بفيله، وكان له فيل يقال له محمود، وكان فيلاً عظيماً لم يُرَ مثله فى الأرض عِظَماً وقوة، فبعث به إليه، فأمر الحبشة فتجهّزت فى ستين ألفاً، ثم سار نحو أرض مكة .

فلما سمعت العرب ذلك أعْظموه، وفَظِعوا به، ورَأوا جهاده حقاً عليهم حين سمعوا أنه يريد هَدْم الكعبة .

فخرج له رجل من أشراف اليمن يقال له: ذو نَفْر، فدعا قومَه ومن أطاعه من سائر العرب إلى حرب أبرهة، وجهاده عن بيت الله تعالى، وما يريد من هدمه وخرابه، فأجابه من أجابه إلى ذلك، ثم عرض له فقاتله، فهزِم ذو نَفر وأصحابه، وأخذ له ذو نفر فأتى به إليه أَسيراً، فلما أراد قتله قال له ذو نفر : أَيها الملك لا تقتلني، فإنه عسى أن يكون بقائى معك خيراً لك من القتل، فتركه، وحبسه عنده فى وثاق .

ثم سار أبرهةُ يريد ما خرج له، حتى إذا كان بأرض خَثْعِم عرض لـه نُفيـل بـن حبيب الخثعمى فى قومه ومن أطاعه من قبائل العرب فقاتله، فهزمه أبرهة وأخذ لـه نُفَيل أسيراً فأُتى بهِ، فلما همَّ بقتله قال له نفيل : أيها الملـك لا تقتلنـى فـإنى دليلـك بأرض العرب . فخلى سبيله .

وخرج أبرهة يريد مكة، حتى مرّ بالطائف فخـرج إليـه مـسعود بـن مُعتَـب فى رجال من ثقيف فقالوا : أيها الملك، إنما نحن عبيدك سامعون لك مطيعـون، ولـيس لك عندنا خلاف وليس بيتنا البيت الذى تريد، يعنون اللات، وهـو بيـت الطـائف كانوا يعظِّمونه نحو تعظيم الكعبة، إنما تريد البيت الذى بمكة، ونحن نبعـث معـك من يدلك عليه، فتجاوزَ عنهم، فبعثوا معه أَبـا رِغـال يدلـه عـلى الطريـق إلى مكـة، فخرج أبرهة ومعه أبو رِغال حتى أنزله، بالمُغَمَّس. فلـما أَنزلـه بـه مـات أَبـو رغـال فرجمت العربُ قبره، فهو الذى يرجم الناس بالمغمَّس .

فلما نزل أبرهة بالمغمَّس بعث رجلاً من الحبشة يقال له: الأسود بن مقصود على خَيْل له حتى انتهى إلى مكة، فساق أموالَ تِهامة من قريش وغيرهـا، وأَصـاب فيهـا مائتى بعير لعبد المطلب بن هاشم، وهو يومئذ كبير قريش وسيدها، فهمّـت قـريش وكنانة وهُذَيل ومن كان بذلك الحرم بقتاله، ثم عرفوا أنه لا طاقة لهم بحَربه.

بعث أبرهة حُناطة الحِمـيرى إلى مكـة وقـال لـه : سَـل عـن سـيد أهـل البلـد وشريفهم، ثم قل له : إن الملك يقول : إنـى لم آت لحـربكم، إنـما جئـت لهـدم هـذا البيت، فإن لم تعرضوا دونه بحرب فلا حاجة لى بـدمائكم، فـإن هـو لم يُـرد حَربـى فأتنى به .

فلما دخل حُناطة مكة سأل عن سيد قريش وشريفها، فقيل : عبـد المطلـب بـن هاشم . فجاءه فقال له ما أمره به أبرهة، فقال عبد المطلب : والله ما نريد حربـه ومـا لنا بذلك من طاقة، هذا بيت الله الحرام وبيتُ خليله إبراهيم ﷺ، فإن يَمْنعه فهو بيته

وحَرَمه، وإن يخلِّ بينه وبينه فوالله ما عندنا دفع عنه . قال حُناطة : فانطلق إليه، فإنه قد أمرنى أن آتيه بك . فانطلق معه عبد المطلب ومعه بعض بنيه حتى أتى العسكر، فسأل عن ذى نفر وكان صديقاً له، فدخل عليه وهو فى مجلسه فقال له : يا ذا نفر، هل عندك غناَء من شيء مما نزل بنا ؟ فقال له ذو نفر : ما غناء رجل أسير بيد ملك ينتظر قتله غدوّاً وعشياً، والله ما عندى غناء من شيء مما نزل بكم إلا أن أُنيساً سائس الفيل صديق لى فأرسل إليه فأوصيه بك، وأعظّم عليه حقّك، وأسأله أن يستأذن لك على الملك فتكلمه بما بدا لك، ويشفع لك عنده بخير إن قدر عليه . فقال : حسبى .

فبعث ذو نَفر إلى أُنيس، فجاء فقال : هذا عبد المطلب سيد قريش وصاحب عَيْن مكة، يطعم الناسَ بالسّهْل والوحوش فى رؤوس الجبال، قد أَصاب الملك له مائتى بعير، فاستأذن له عليه وانفعه عنده بما استطعت . قال : أفعل .

فكلَّم أُنيس أبرهة فقال : أيها الملك، هذا سيد قريش ببابك يستأذن عليك،وهو صاحب عين مكة، يُطعم الناسَ بالسهل والوحوش فى رؤوس الجبال، فائذن له عليك فليكلمك فى حاجته . فأذن له أبرهة .

وكان عبد المطلب أوسمَ الناس وأجلهم وأعظمهم، فلما رآه أبرهة أجلَّه وأكرمه عن أن يجلسه تحته، وكره أن تراه الحبشة يجلسه معه على سريره، فجلس على بساطه وأجلس عبد المطلب معه إلى جنبه .

وفى «الدرّ المنتظَّم» أن عبد المطلب لما دخل على أبرهة سجد له فيلٌ من الفيلة، وكان لا يسجد لأبرهة كغيره من الفيلة، فتعجب أبرهة من ذلك ودعا بالسحرة والكهان فسألهم عن ذلك فقالوا : إنه لم يسجد له وإنما سجد للنور الذى بين عينيه . انتهى .

ثم قال لترجمانه : قل له : ما حاجتك؟ ففعل الترجمان، قال : حاجتى أن يردّ على الملكُ مائتى بَعير أصابها لى. فلما قال له ذلك قال أبرهة لترجمانه : قل له : قد كنتَ أعجبتنى حين رأيتك، ثم قد زهدت فيك حين كلَّمتنى فى مائتى بعير أصبتها

لك، وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك جئتُ لهدمه لا تكلّمنى فيه ؟!

قال عبد المطلب : أنا ربُّ الإبل، وإن للبيت رباً سيمنعه . قال : ما كان ليمتنع منى . قال : أنت وذاك .

قال ابن السائب ومقاتِل ـ رحمهما الله تعالى : ثم إنَّ عبد المطلب عرَض على أبرهة أموال تهامة ويرجع عن خراب البيت، فأبى ورد أبرهة على عبد المطلب الإبل التى أصاب، فقلَّدها وأشعرها وجلَّلها وجعلها هدْياً للبيت وبثَّها فى الحرم، فعمد القوم إليها فحملوا عليها وعقروا بعضها، فدعا عليهم عبد المطلب .

قال مقاتل : فقال عبد المطلب :

لا هُمَّ أَخْز الأَسودَ بنَ مَقْصودْ ... الآخِذَ الهَجْمَةَ بعْد التَّقليدْ
فَتلَّهـا إلى طَمَاطِمَ سـودْ ... بين ثَبيرٍ وحِرَا والبِيدْ
والمرْوَتين والمَسَاعِى السُّودْ ... يُهَدَّ البيتَ الحرام المقصودْ
قد أَجمعوا أَن لايكون لك عِيدْ ... أَخْفِرْهُمُ ربِّى وأَنْتَ المحمود

وذكر ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ نحوها لعكرمة بن عامر وهو من مُسْلمة الفتح . فالله تعالى أعلم .

ثم انصرف عبد المطلب إلى قريش فأخبرهم الخبر، وأمرهم بالخروج إلى مكة والتحرز فى شعف الجبال والشِّعاب خوفاً عليهم من مَعرَّة الجيش .

ثم قام عبد المطلب فأخذ بحَلْقة باب الكعبة ومعه نفر من قريش يدعون الله تعالى، ويستنصرونه على أَبرهة وجنده، فقال عبد المطلب :

---

(١) انظر : الروض الأنف (١/ ٧٠) ورواية الأبيات هناك هكذا :

لاهم أخز الأسود بن مقصود ... الآخذ الهجمة فيها التقليد
بين حراء وثبير فالبيد ... يجبسها وهى أولات التطريد
فضمّها إلى طماطم سود ... أخفره يا رب وأنت محمود

لا هُـمَّ إنَّ المـرء يَمـ ـنَعُ رَحْلَه فـامْنَع حِلالَـك
لا يَغْلِـبَنَّ صَـلِيبُهُم ومِحَـالَهم عَـدْواً مَحَالَـكْ
انـصُرْ عَـلَى آلِ الـصَّلِيـ ـب وعَابِديـهِ اليَـوْمَ آلَـكْ
إن كنـتَ تـاركَهُم وكَعْـ ـبَتَنا فـأمر مـا بـدا لَـكْ [1]

وعند البيهقى ـ رحمه الله تعالى ـ أن عبد المطلب قام يدعو على الحبشة فقال :

يا ربَّ لا أرجو لهم سوَاكَا يـاربَّ فـامْنَعْ مِـنْهُمُ حِمَاكَـا
امـنَعْهُمُ أَنْ يُخْربـوا قُرَاكَـا إنَّ عَدوَّ البيتِ مَـنْ عَادَاكـا

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى : ثم إن عبد المطلب انطلق هو ومـن معـه مـن قريش إلى شَعَف الجبال فتحرَّزوا فيها، ينظرون ما أبرهة فاعلٌ بمكة إذا دخلها .

وذكر مقاتل ـ رحمه الله تعالى ـ أن عبد المطلب لم يخرج معه بل أقام بمكة وقال : لا أبرح حتى يقضى الله قضاءه . ثم صعد هو وأبو مسعود الثقفى عـلى مكـان عـال لينظر ما يفعله أبرهة .

فلما أصبح أبرهة تهيأ لدخول مكة، وهيأ فيله، وعبّأ جيشه .

قال ابن جرير ـ رحمه الله تعالى : ويقال: كان معه ثلاثة عشر فيلاً هلكت كلها .

ونقل الماوردى عن الأكثرين أنه لم يكن معهـم إلا فيـل واحـد اسـمه محمـود . وعن الضحاك : كان معه ثمانية أفيلة .

وأبرهة مُجْمع لهَدْم البيت : زاد مقاتـل : وجعـل الفيـل مُقَابـل الكعبـة لـيعظَّم، ويعبد لتعظيم الكعبة . وقال غيره : بل ليجعل السلاسل فى أركان الكعبـة وتوضـع فى عنق الفيل ثم يُزجر ليُلْقى الحائط جملةً واحدة .

(١) انظر : الروض الأنف (١/ ٧٠) ورواية البيت الرابع : وقبلتنا بـدل كعبتنـا، وهـى روايـة ابـن كثـير أيضاً. انظر : البداية والنهاية (٢/ ١٧٣) ورواية البيت الأول فى البداية : فامنع رحالك .

فلما وجّهوا الفيل نحو الكعبة أَقبل نفيل بن حبيب فأخذ بأُذنه وقال : يا محمود، أنت بحرم الله . ثم خرج نُفَيل يشتدّ حتى أصْعدَ فى الجبل فبرَك الفيل فضربوه بالطّبَرْزين ليقوم فأبى، فأدخلوا مَحَاجِنَ لهم فى مراقّه فبزَغوه بها ليقوم فأَبى، فوجَّهوه جهة اليمن فقام يُهرول ووجَّهوه نحو الشام ففعل مثلَ ذلك، ووجهوه نحو المشرق ففعل مثل ذلك، ووجهوه إلى جهة مكة فبرك وأَلقى جِرَانه إلى الأرض وجعل يعجُّ عَجّاً .

وفى رواية يونس بن بُكَيْر عن إسحاق : أن الفيل لما رَبض جعلوا يُقْسمون له بالله أَنهم رادُّوه إلى اليمن فيحرك لهم أُذنيه ـ كأنه يأخذ عليهم بذلك عهداً ـ فإذا أقسموا عليه قام يهرول فيردّونه إلى مكة فيربض، فيحلفون له فيحرك أذنيه كالمؤكد عليهم القسم، ففعلوا ذلك مرارًا .

وفى معانى القرآن للزجَّاج : أن دوابَّهم لم تَسِر نحو البيت، فإذا عَطفوها راجعين سارت، فوعظهم الله تعالى بأبلغ موعظة .

فأقاموا على قَصد أن يخربوا البيت، فلم يزالوا يعالجون الفيل حتى غشيهم الليل.

وفى رواية يونس عن ابن إسحاق : أنهم استشعروا العذاب فى تلك الليلة، لأنهم نظروا إلى النجوم كالحةً إليهم تكاد تكلمهم من اقترابها منهم، فلما كان السَّحر أرسل الله الطير الأبابيل من البحر أمثال الخطاطيف مع كل طير منها ثلاثة أحجار يحملها، حجرٌ فى منقاره وحجران فى رجليه أمثال العدس والحمص، ثم جاءت حتى صفّت على رؤوسهم، فلما رأوها أشفقوا منها وسُقِط فى أيديهم، فصاحت وألقت ما فى أرجلها ومناقيرها، فما من حجر وقع على جنب رجل إلا خرج من الجنب الآخر، وإن وقع على رأسه خرج من دُبره ولا تصيب شيئاً إلا هشمتْه وإلا سقط ذلك الموضع . فكان أول ما رُئى الجُدرى والحَصْبة، وبعث الله تعالى ريحاً شديدة فضربت بأرجلها فزادتها قوة .

وروى أبو نُعَيْم عن عطاء بن يسار ـ رحمه الله تعالى ـ قال : حدثنى من تكلم من كلَّم قائد الفيل وسائسه قال : إنهما أخبرانى خبر الفيل قالا : أقبلنا ومعنا فيل المِلك الأكبر لم يسرْ به قط إلى جَمْع إلا هزمهم، فلما دنونا من الحرَم جعلنا كلما نوجهه إلى الحرم يـرْبض، فتارة نضربه فيهبط. وتارة نضربه حتى نملّ ثم نتركه . فلما بلغ المغَمَّس ربض فلم يقم، فطلع العذاب، فقلت : نجا غيركما ؟ نعم ليس كلهم أصابهم العذاب .

ولَّى أبرهة ومن تبعه يريد بلاده، فكلما دخل أرضاً وقع منه عضو حتى انتهى إلى بلاد خثعم وليس عليه رأسه فمات .

وأفلت وزيره وطائره يتبعه حتى وصل إلى النجاشى فأخبره بما جرى للقوم، فلما فرغ رماه الطائر بحجره فمات بين يدى الملك.

وروى سعيد بن منصور عن عِكْرمة ـ رحمه الله تعالى : أن رؤوس هذه الطيور مثل رؤوس السَّباع لم تُرَ قبل ذلك ولا بعده، فأثرت فى جلودهم فإنه لأول ما رئى الجدرى .

وروى أيضاً عن عُبَيد بن عُمَير ـ رحمه الله تعالى ـ أنها كالخطاطيف بُلْق .

وروى عَبد بن حُمَيْد وابن المنذر عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال :

دعا الله تعالى الطيرَ الأبابيل فأعطاها حجارة سوداً عليه الطين، فلما حاذتهم صفَّت عليهم ثم رمتهم، فما بقى منهم أحد إلا أخذته الحكَّة، فكان لا يحك إنسان منهم جلده إلا تساقط لحمه .

وروى الفِريانى وعبد بن حميد وابن أبى حاتم عن عُبَيْد بن عمير ـ رحمه الله تعالى:

أنها خرجت من قِبَل البحر كأنها رجال الهند معها حجارة أمثال الإبل البوارك، وأصغرها مثل رؤوس الرجال، لاتريد أحداً منهم إلا أصابته ولا أصابته إلا قتلته . والأبابيل : المتتابعة .

وروى أبو نُعَيم عن نوفل بن معاوية الدَّيلي [1] ﷺ قال : رأيت الحصا التى رُمى بها أصحاب الفيل، حصا مثل الحمص وأكبر من العدس حُمْر مختمة كأنها جَزْع ظَفَار .

وروى أيضًا عن حكيم بن حزام ﷺ قال : كانت فى المقدار بين الحمصة والعدسة حصا به نضح أحمر مُخَتَّم كالجَزْع .

وروى ابن إسحاق والواقدى وأبو نُعَيم والبيهقى عن عائشة ـ رضى الله عنها قالت : لقد رأيت قائدَ الفيل وسائسه أَعميَيْن مُقعَدين يستطعمان الناس .

وروى أبو نعيم وابن مردويه عن أبى صالح ـ رحمه الله تعالى : أنه رأى عند أُم هانئ بنت أبى لهب من تلك الحجارة نحواً من قَفِيز مخطَّطة كأَنها جَزْع ظَفَار مكتوب فى الحجر اسمه واسم أبيه .

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى : وليس كلهم أُصيب ، وخرجوا هاربين يبتدرون الطريقَ الذى جاؤوا منه يسألون عن نُفَيل بن حبيب ليدلَّهم على الطريق، فقال نُفَيل بن حبيب فى ذلك :

أَين المفَرُّ والإلـهُ الغالِبُ والأَشْرمُ المغْلُوبُ لَيْسَ الْغَالِب

وخرجوا يتساقطون بكل طريق، ويهلكون على كل مَنْهل .

وأُصيب أبرهة فى جسده وخرجوا به معهم يَسْقط منه أنملة أنملة، كلما سقطت أنملة أتبعتها مِدّة ودم وقيح حتى قَدِموا به صنعاء وهو مثل فرخ الطائر، فما مات حتى انصدع قلبه .

ولما أصبح عبد المطلب أشرف ومعه أبو مسعود يقوده . فقال له أبو مسعود : انظر نحو البحر . قال : أرى طيراً بيضاً . فقال : ارمقها ببصرك أين قرارها ؟ قال :

(١) نوفل بن معاوية بن عروة (أو عمرو) الديلى الكنانى : معمر، من الصحابة، له أحاديث، شهد بدراً والخندق مع المشركين، وكان له ذكر ونكاية، ثم أسلم وشهد الفتح وحنيناً والطائف، ونزل المدينة، ومات بها، فى خلافة معاوية، أو أيام يزيد . قيل : عاش ستين سنة فى الجاهلية ومثلها فى الإسلام . توفى سنة (٦٠هـ) . الأعلام (٨/ ٥٥) .

قد دارت فوق رؤوسنا . قال : هل تعرفها ؟ قال : لا . قال : ما هى بنَجدية ولا تِهامية ولا يَمانية ولا شاميّة وإنها لطير بأرضنا غير مُؤنسة . قال : ما قَدرها ؟ قال : أَمثال اليَعاسيب فى مَنَاقيرها الحصى كحصى الخَذْف وهى أَبابيل يتبع بعضها بعضاً، أمام كل رفَّة منها طائر يقودها أحمر المنقار أسود الرأس طويل العُنق، حتى إذا جازت عسكر القوم ركدت فوق رؤوسهم . فقال أبو مسعود : لأمرٍ ما هو كائن .

ثم إن عبد المطلب أرسل ابنًا له على فرس له سريع لينظر ما جرى للقوم، فذهب الفرسُ نحوهم، فرآهم مشدّخين جميعًا، فرجع يرفع فرسه كاشفًا عن فخذه، فلما رأى ذلك عبدُ المطلب قال : إنَّ ابنى لأَفرس العرب وما كشف عن عورته إلا بَشيراً أو نذيراً . فلما دنا منهم قالا له : ما وراءك ؟ قال : هلكوا جميعًا . فانحطّا من الجبل ربوة أو ربوتين فلم يؤنسا أحدًا، فلما دنيا من المعسكر وجدا القوم خامدين، فعمد عبد المطلب وأخذ فأسًا وحفر حتى أعمق فى الأرض وملأ من الذهب والجوهر وحفر أيضًا لصاحبه حَفيرة وملأها كذلك، وجلس كل واحد على حفرته، ونادى عبد المطلب فى الناس فتراجعوا وأصابوا من ذلك ما ضاقوا به ذرعاً.

وازداد عبد المطلب عِظَماً لعدم خروجه من مكة .

وأرسل الله سبحانه وتعالى سَيلاً عظيماً، فاحتمل جثث الحبشة، فألقاهم فى البحر .

ولما أهلك الله تعالى الحبشة عظّمت العرب قريشاً وقالوا : أهلُ الله تعالى، قاتل عنهم وكفاهم مؤنَة عدوِّهم، وقالوا فى ذلك أشعاراً كثيرة، منها قول عبد المطلب كما ذكره البلاذرى ورجح الزبير أنها لمغيرة :

قلتُ والأَشرَمُ يَرْدِى خَيْلَهُ ... إن ذا الأشرمَ غِرٌّ بالحَرَمْ
رامَهُ تُبع فِيمَن جَمَّعت ... حِمْيَرٌ والحى من آل قَدمْ
فانثنى عَنْهُ وفى أَوْدَاجِه ... جَارِضٌ أَمْسَكَ منه بالكَظَمْ
نحنُ آلُ الله فى بَلْدَتِهِ ... لم نَزلْ فيها على عَهْدِ إِبْرَهَمْ

أشار عبد المطلب إلى قصة تُبع، وخلاصتها ـ كما ذكر ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى ـ وغيره : أن تُبعًا لما توجه راجعًا لبلاده أَتاه نفر من هُذَيل بن مدركة بن إلياس ابن مضر فقالوا له : أيها الملك، أَلا ندلك على بيت مال داثر أَغفلته الملوك قبلك، فيه اللؤلؤ والزبرجد والياقوت والذهب والفضة ؟ قال : بلى . قالوا : بيتٌ بمكة . وإنما أَراد الهُذَليون هلاكه بذلك، لِمَا عرفوا من هلاك من أراده بسوء وبغى عنده . فراح تُبع وهو مُجمعٍ لهدم البيت فبعث الله تعالى عليهم ريحًا فعقفت يديه ورجليه وشنجت جسده، فأرسل إلى من كان معه من يهود فقال : ويحكم ما هذا الذى أصابنى ؟ فقالوا : أَحْدَثْتَ شيئاً . فقال : ما أَحدثت ؟ فقالوا : حدّثتَ نفسك بشىء. قال : نعم . فذكر ما أَجمع عليه من هدم البيت وإصابة ما فيه قالوا : ذاك بيت الله الحرام ومن أَراده هلك . قال : ويحكم وما المخرج مما دخلتُ فيه ؟ قالوا : تحدِّث نفسك أَن تطوف به وتكسوه وتعظمه . فحدّث نفسه بذلك فأَطلقه الله تعالي، فسار حتى دخل مكة فطافه وسعى بين الصفا والمروة وحلق رأسه، وأقام بمكة ستة أيام ينحر فيها للناس، ويطعم أهلها، ويسقيهم العسل . وأرى فى المنام أن يكسوه فكساه الخصف، ثم أُرِى أن يكسوه أحسن من ذلك فكساه المعَافِر، ثم أُرى أن يكسوه أَحسن من ذلك فكساه المُلاء والوصَائل . وذكر القصة .

٣ـ إكرام الله تعالى لعبد المطلب جد النبى ﷺ :

أكرم الله تعالى جدّ نبينا ﷺ قبل ولادته بأمور، ظهر فيه شرف عبد المطلب، ورعاية الله تعالى له، نحو : حفر ماء زمزم، وقصة أصحاب الفيل، وثبات عبد المطلب على الإيمان، ومناجاته لله تعالى بالانتصار على أبرهة الحبشى وجيشه،

ثم فى نجاة والد النبى ﷺ عبد الله من نذر الذبح، وفى هذه القصص الثلاث التى ذكرناها حِكَمٌ إلهية لعلنا نصل إليها أو بعضها فيما يلى :

١ ـ إظهار المكانة الدينية لعبد المطلب أمام قريش والعرب جميعاً؛ ليعلموا أن الله تعالى خصهم دون العرب جميعاً بهذا الفضل، فليس من الصدفة بمكان أن يكون شرف حفر ماء زمزم، وظهور ثبات عبد المطلب أمام أبرهة، وانتشار قوله الإيمانى : «إن للبيت ربّاً يحميه» وعدم خروجه من مكة وإنما حول الجبال المحيطة بالكعبة، والجيش الجرار على الأبواب، يتقدمه الفيل الكبير لهدم الكعبة. وبذلك تعرفت العرب وتنبهت إلى فضل الله تعالى على عبد المطلب وهذا غدا بمثابة الإعلان الكبير بين القبائل، وانتشار الخبر بينهم بصورة سريعة تلفت النظر إلى عبد المطلب وأن له شأناً ومكانة دينية يجب الاعتراف بها .

٢ ـ تأكيد النبى ﷺ على أن عبد المطلب خير قومه؛ عن عبد المطلب بن ربيعة بن الحارث بن عبد المطلب قال : أتى أناس من الأنصار إلى النبى ﷺ فقالوا : إنا لنسمع من قومك حتى يقول القائل منهم : إنما مثلُ محمد مثل نخلة فى كباء [١] ، فقال رسول الله ﷺ : «أيها الناس، من أنا؟»، قالوا : أنت رسول الله ﷺ، قال : «أنا محمد ابن عبد الله بن عبد المطلب»، قال (أى الراوى) : فما سمعناه قط ينتمى قبلها، «إلا أن الله عز وجل خلق خلقه، فجعلنى من خير خلقه، ثم فرقهم فرقتين، فجعلنى من خير الفرقتين، ثم جعلهم قبائل، فجعلنى من خيرهم قبيلة، ثم جعلهم بيوتاً، فجعلنى من خيرهم بيتاً، وأنا خيركم بيتاً، وخيركم نفساً» . رواه الترمذي، وأحمد . وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢١٥) : رواه أحمد، ورجاله رجال الصحيح [٢] .

وإن انتساب النبى ﷺ فى غزوة حنين إلى جده عندما انهزم بعض المسلمين، فقال بأعلى صوته :

---

(١) الكباء : الكناسة .

(٢) انظر : صحيح السيرة لإبراهيم العلى (ص٢١) .

أنـــا النبـــى لا كـــذب أنـــا ابـــن عبـــد المطلـــب

ومن حكمة ذلك الانتساب : كأن النبى ﷺ يقول : كما ثبت جدى عبد المطلب أمام أبرهة، ومعه عدد قليل، ثابت أمامكم، وأنا النبى بلا كذب ولا افتراء، ولا يمكن لى الانهزام أو الخسران فى أى معركة كانت. فكان نصر الله له ﷺ بالإضافة لكون جده من أهل الفترة [1] .

الأساس الثالث : أخبار زواج والديه، ثم وفاة والده قبل ولادته ﷺ وميراثه من أبيه :

١ـ زواج عبد الله والد النبى ﷺ بآمنة بنت وهب أم النبى ﷺ وسببه :

روى ابن سعد، وابن البرقى والطبرانى والحاكم وأبو نعيم عن العباس بن عبد المطلب عن أبيه قال : قدمنا اليمن فى رحلة الشتاء فنزلت على حَبْر من اليهود، فقال لى رجل من أهل الزبور، يعنى الكتاب : ممن الرجل؟ قلت : من قريش، قال : من أيهم؟ قلت : من بنى هاشم، قال : أتأذن لى أن أنظر إلى بعضك؟ قلت : نعم، ما لم يكن عورة، قال : ففتح إحدى مِنْخرىَ فنظر فيه، ثم نظر فى الآخر فقال : أشهد أن فى إحدى يديك مُلْكاً وفى الأخرى نبوةً، وإنا نجد ذلك فى بنى زُهرة فكيف ذلك ؟ قلت : لا أدري، قال : هل لك من شاعة (أى : زوجة سميت بذلك لمتابعتها زوجها وشيعته) قلت : وما الشاعة ؟ قال : الزوجة، قلت : أما اليوم فلا، فقال : إذا رجعت فتزوج منهم، فلما رجع عبد المطلب إلى مكة تزوج هالة بنت أُهيب بن عبد مناف، وزوَّج ابنه عبد الله آمنة بنت وهب، فولدت له رسول الله ﷺ فقالت قريش : فَلَجَ عبد الله على أبيه (أى : ظفر بما طلب) [2] .

---

(١) أهل الفترة : هم الذين عاشوا بين بعثة سيدنا عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام، ولم يبعث لهم رسول، واعتقاد أهل السنة والجماعة بنجاتهم من النار لقوله تعالى: ﴿ وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّىٰ نَبْعَثَ رَسُولًا ﴾ [الإسراء] . وقيل : يُمتَحنون، والله أعلم.

(٢) انظر : سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للصالحى (١/ ٣٢٥)، قال الذهبى فى التلخيص : يعقوب وشيخه ضعيفان، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٣١) : « رواه الطبرانى وفيه عبد العزيز بن عمران وهو متروك» . والخبر فى دلائل البيهقى (١/ ١٠٧) ودلائل النبوة لأبى نعيم (١/ ١٦٢) .

٢ـ وفاة عبد الله والد النبى ﷺ قبل ولادته [١] ﷺ :

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله تعالى : ثم لم يلبث عبد الله بن عبد المطلب أن توفى، وأم رسول الله ﷺ حامل به .

هذا ما جزم به ابن إسحاق ورجحه الواقدى وابن سعد والبلاذرى، وصححه الذهبى، وقال ابن كثير : إنه المشهور، وقال ابن الجوزى : إنه الذى عليه معظم أهل السِّيَر، ورواه الحاكم وصححه وأقره الذهبى .

أما تفاصيل وفاته فروى ابن سعد فى الطبقات (١/ ٩٩) : أن عبد الله خرج إلى الشام إلى غزة فى عير من عيرات قريش يحملون تجارات، ففرغوا من تجاراتهم، ثم انصرفوا فمروا بالمدينة وعبد الله يومئذ مريض، فقال : أتخلف عند أخوالى بنى عَدِى ابن النجار، فأقام عندهم مريضًا شهرًا، ومضى أصحابُه فقدموا مكة، فسألهم عبد المطلب عن ابنه فقالوا : خلّفناه عند أخواله بنى عدى بن النجار مريضًا، فبعث عبد المطلب أكبرَ ولده الحارث، فوجده قد توفى ودفن فى دار النابغة فرجع؛ فأخبره فَوَجِدَ عليه عبدُ المطلب وعماتُه وإخوتهُ وأخواتهُ وَجْدًا شديدًا، ورسول الله ﷺ حَمْل، ولعبد الله بن عبد المطلب يومَ تُوفى خمس وعشرون سنة .

قال الواقدى : «وهذا أثبت الأقاويل فى وفاة عبد الله وسنه» [٢] .

٣ـ ميراث النبى ﷺ من أبيه :

روى ابن سعد فى الطبقات (١/ ١٠٠) عن محمد بن عمر بن واقد الأسلمى قال : ترك عبدُ الله بنُ عبد المطلب أمَّ أيمن، وخمسة أجمالٍ أوراك، يعنى : تأكل الأراك، وقطعة غنم، فورث ذلك رسول الله ﷺ . وروى أيضاً فى (ج١/ ٤٨٥) عن عبد المجيد بن سُهيل قال : قدم رسول الله ﷺ المدينة فى الهجرة بسيفٍ كان لأبى مأثور، يعنى : أباه [٣] .

(١، ٢) انظر بتوسع : سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٣١)، والجامع فى السيرة النبوية (١/ ١٣٠) .
(٣) انظر : جامع السيرة النبوية (١/ ١٣١) .

الأساس الرابع : أخبار حمله ﷺ فى بطن أمه وولادته ﷺ :

١ـ النور الذى رأته آمنة فى الحمل أو الولادة أو فى كليهما :

عن العرباض بن سارية ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «إنى عند الله فى أم الكتاب لخاتم النبيين، وإن آدم لمنجدل فى طينته، وسأنبئكم بتأويل ذلك : دعوة أبى إبراهيم، وبشارة عيسى قومه، ورؤيا أمى التى رأت أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام، وكذلك ترى أمهات النبيين صلوات الله عليهم» رواه أحمد والطبرانى فى الكبير، وقال الهيثمى فى المجمع (٨/ ٢٢٣) : رواه أحمد والطبرانى نحوه، والبزار، وأحد أسانيد أحمد رجاله رجال الصحيح غير سعيد بن سويد، ووثقه ابن حبان .

وفى رواية الحاكم : وإن أم رسول الله ﷺ رأت حين وضعته نوراً أضاءت له قصور الشام، ثم تلا : ﴿ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّبِيُّ إِنَّآ أَرۡسَلۡنَٰكَ شَٰهِدٗا وَمُبَشِّرٗا وَنَذِيرٗا ۝ وَدَاعِيًا إِلَى ٱللَّهِ بِإِذۡنِهِۦ وَسِرَاجٗا مُّنِيرٗا ۝ ﴾ [الأحزاب] قال الحاكم : هذا حديث صحيح الإسناد، ولم يخرجاه، وأقره الذهبى .

وروى الحاكم، وصححه البيهقى عن خالد بن مَعْدان عن أصحاب رسول الله ﷺ أنهم قالوا : يا رسول الله، أخبرنا عن نفسك، قال ﷺ : «أنا دعوةُ أبى إبراهيم، وبشرى عيسى، ورأت أمى حين حملت بى كأنه خرج منها نورٌ أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام» .

فهذا الحديث يدل على رؤية آمنة للنور عند حملها للنبى ﷺ، والأول يدل على رؤيتها للنور عند الولادة، وما ذلك على الله بعزيز .

٢ـ حادثة الفيل وحفظ الله تعالى لبيته الكريم وتكريماً بمولد الحبيب المصطفى ﷺ وافتخار الرسول ﷺ بيوم مولده واختصاص يوم مولده بالفضائل:

ولد رسول الله ﷺ عام الفيل فى ربيع الأول يوم الاثنين، والأكثرون على أنه ليلة الثانى عشر منه .

روى الإمام أحمد ومسلم وأبو داود عن أبى قتادة ﷺ أن رسول الله ﷺ سئل عن يوم الاثنين، فقال : «ذاك يومٌ ولدت فيه أو قال : أنزل على فيه» .

وروى ابن أبى شيبة فى مصنفه بسند صحيح عن ابن عباس وجابر رضى الله عنهما أنهما قالا: ولد رسول الله ﷺ عام الفيل يوم الاثنين الثانى عشر من ربيع الأول، وفيه عرج به إلى السماء، وفيه هاجر، وفيه مات». هذا هو المشهور عند الجمهور، والله أعلم .

قال بعض أهل المعانى : كان مولده ﷺ فى فصل الربيع، وهو أَعْدَل الفصول، ليله ونهاره معتدلان بين الحر والبرد، ونسيمه معتدل بين اليبوسة والرطوبة، وشمسه معتدلة فى العلوّ والهبوط، وقمره معتدل فى أول درجة من الليالى البيض، وينعقد فى سِلْك هذا النظام : ما هَيَّأ الله تعالى له ﷺ من أسماء مُرَبّيه، ففى الوالدة والقابلة الأمن والشفاء، وفى اسم الحاضنة البرَكة والنماء وفى مرضعتيه ﷺ الآتى ذكرهما الثواب والحلم [1] .

فيوم الاثنين يوم مولد الرسول ﷺ، ويوم بُعث فيه، أُنزل عليه القرآن فى غار حراء: ﴿ ٱقْرَأْ بِٱسْمِ رَبِّكَ ٱلَّذِى خَلَقَ ﴿١﴾ ﴾ [العلق]، وذاك يوم ترفع فيه الأعمال إلى الله تعالى (بالإضافة ليوم الخميس)، وكان رسول الله ﷺ يصومه ويقول : «أحب أن يرفع عملى وأنا صائم» . فهذه الفضائل تجعل أهميته بالمكان المرموق اللائق به، وقد خص الله تعالى نبينا محمداً ﷺ بأن أقسم بحياته، فقال سبحانه : ﴿ لَعَمْرُكَ إِنَّهُمْ لَفِى سَكْرَتِهِمْ يَعْمَهُونَ ﴿٧٢﴾ ﴾ [الحجر] .

---

(١) انظر بتوسع: سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد (١/ ٣٦٢) الباب : الثالث عشر فى أقوال العلماء فى عمل المولد الشريف، واجتماع الناس له، وما يُحمد من ذلك، وما يُذم.

والحياة الجسدية تبدأ من لحظة الولادة، وما أسعدها من لحظة تشرفت بها الدنيا كلها بمولده ﷺ، أفيعقل أن تمر لحظة مولده ﷺ على المسلم دون ابتهاج وفرح يورثها أبناءَه ؟!

أفيجوز للمسلم أن يفرح بمولد فلان وفلان ولا يفرح بمولد رسول الله ﷺ الذى أصبحت السماء فيه شهاباً ثاقباً ترجم كل شيطان رجيم، يريد أن يسترق السمع من الملأ الأعلى ؟!

وإذا كان رسول الله ﷺ قد فرح بيوم مولده بعد مبعثه، وذلك بأن عقّ عن نفسه ـ كما رواه أنس ﷺ بسند صحيح، وأخرجه البيهقى ـ وكان جده قد عقّ عنه، فأعادها الرسول ﷺ مرة ثانية، ومعلوم أن العقيقة وليمة يُدعى إليها كل الناس لإظهار الشكر لله تعالى، فإذا كان رسول الله ﷺ قد عمل وليمة العقيقة بذكرى مولده، أفلا يكون مدعاة للاقتداء به ﷺ فى عمل الولائم بذكرى مولده، وإظهار الفرحة والسرور ؟! نعم إن إظهار الفرحة والسرور بيوم مولده، وفى كل يوم، من الفرائض، ومن أمهات وجوب الاعتقاد بتوقيره، وتعظيمه ﷺ .

وإذا كان يُخفف عن أبى لهب الكافر كل يوم اثنين لفرحه بمولد النبى ﷺ، وعتقه لثويبة التى بشرته بولادته ـ كما رواه البخارى عن العباس ﷺ أفلا يفرح الأطفال والكبار والذكور والإناث بيوم مولده ويبتهجون به، ويكون ذلك سبباً فى تخفيف العذاب عنهم يوم القيامة ؟!

وإن الله تعالى أمر بالتذكير بأيام الله تعالى، وهى الأيام التى تميزت بخاصية معينة، كيوم الفرقان، ويوم حنين، ويوم الإسراء، وغيرها من أيام الرسل الأنبياء عليهم الصلاة والسلام، فقال سبحانه : ﴿ وَذَكِّرْهُم بِأَيَّـٰمِ ٱللَّهِ ﴾ [إبراهيم : ٥] .

فالتذكير واجب، وإذا سمّاه البعض بعيد المولد، فهذا خطأ فى التسمية؛ لأن المسلم له عيدان : عيد الفطر وعيد الأضحى ـ كما أخبر النبى ﷺ ـ فتسميته بعيد المولد مجازاً، والقصد منه بذكرى المولد تذكير الأب أولاده بسيرة رسول الله ﷺ

وتذكير الخطباء والدعاة والعلماء الأمة الإسلامية إلى أهمية أحداث سيرة الرسولﷺ، بدءاً من مولده الشريف إلى ارتفاع روحه إلى الملأ الأعلى . وقد مرّ معنا أن الصحابة ـ رضوان الله عليهم ـ ورَّثوا أبناءهم سيرة الرسول الله ﷺ كلها، وهم بدورهم ورَثوها غيرهم وهكذا وصلت إلينا .

٣ـ مكان ولادة النبى ﷺ وحصول الأنوار والبركات فيه :

روى الطبرى (٢/ ١٥٦) عن ابن إسحاق قال : وقيل : إنه وُلد ﷺ فى الدار التى تُعرف بدار ابن يوسف، وقيل : إن رسول الله ﷺ كان وهبها لعقيل بن أبى طالب، فلم تزل فى يد عقيل حتى توفى، فباعها ولدُه من محمد بن يوسف ـ أخى الحجاج بن يوسف ـ فبنى داره التى يُقال لها دار ابن يوسف، وأدخل ذلك البيت فى الدار، حتى أخرجته الخَيْزُرانُ (أم الخليفَة العباسى هارون الرشيد) فجعلته مسجداً يصلّى فيه .

وقال الحاكم فى المستدرك (١/ ٦٠٢) : ولد رسول الله ﷺ فى الدار التى فيها الزقاق المعروف بزقاق المدكل بمكة، وقد صليتُ فيها، وهى الدار التى كانت بعد مهاجرة رسول الله ﷺ فى يد عقيل بن أبى طالب، ثم فى أيدى ولده بعده .

وأورد الأزرقى فى «أخبار مكة» (٢/ ١٩٩) عن سليمان بن أبى مَرْحب مولى بنى خثيم، قال : حدثنى ناس كانوا يسكنون ذلك البيت قبل أن تشرعه الخَيْزُرانُ من الدار، ثم انتقلوا عنه حين جعل مسجدًا، قالوا : لا والله، ما أصابتنا فيه جائحةٌ ولا حاجة، فأُخرِجنا منه فاشتدّ الزمانُ علينا [1] .

وعن أبى العَجْفاء ـ رحمه الله تعالى ـ مرسلاً قال : قال رسول الله ﷺ : «رأت أمى حين وضعتنى سطع منها نور، فضاءت له قصور بُصرى» . رواه ابن سعد، قال الصالحى : ورجاله ثقات .

---

(١) انظر : الجامع فى السيرة النبوية (١/ ١٣٨) .

وروى الإمام أحمد وابن سعد بسند حسن عن أبى أمامة ﷺ قلت : يا رسول الله، ما كان بَدْء أمرك؟ قال : «دعوة أبى إبراهيم، وبُشرى عيسى ابن مريم، ورأت أمى أنه خرج منها نور أضاءت له قصور الشام» .

٤ ـ أخبار ولادة الحبيب المصطفى سيدنا محمد ﷺ :

أ ـ روى ابن سعد بسند ثقات [١] عن إسحاق بن أبى طلحة مرسلاً ـ رحمه الله تعالى : أن آمنة قالت : وضعتُه نظيفاً، ما ولدته إلا كما يولد السَّخْل ما به قذر، ووقع إلى الأرض وهو جالس على الأرض بيديه .

ب ـ وعن أنس ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «مِنْ كرامتى على ربى أنى ولدتُ مختوناً، ولم ير أحد سَوْأتى» . رواه الطبرانى وأبو نعيم وابن عساكر من طرق، قال فى الزهر : سنده جيد ... اهـ، وصححه الحافظ ضياء الدين المقدسى، وروى من حديث العباس بن عبد المطلب رواه ابن سعد، وحَسّن مغلطاى سنده فى كتابه دلائل النبوة، وانظر مناقشة الأسانيد فى سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للصالحى (١/ ٣٤٧) .

جـ ـ انفلاق البرمة حين وضع ﷺ تحتها :

روى ابن سعد بسند رجاله ثقات [٢] أثبات عن عكرمة ـ رحمه الله تعالى ـ مرسلاً: أن رسول الله ﷺ لما وضعته أمه وضعته تحت بُرْمة، فانفلقت عنه، قالت : فنظرتُ إليه فإذا هو قد شق بصره ينظر إلى السماء .

وروى البيهقى عن أبى الحسن التنوخى ـ رحمه الله تعالى ـ قال : كان المولود إذا وُلد فى قريش دفعوه إلى نسوة من قريش إلى الصبح فكفأنَ عليه بُرْمة (إناء من الحجارة)، فلما أصبحن أَتَيْنَ فوجدت البُرْمة قد انفلقت عنه باثنتين، فوجدته مفتوح

(١) قاله الصالحى فى سبل الهدى والرشاد (١/ ٣٤٨) .
(٢) سبل الهدى والرشاد(١/ ٣٤٦) .

العينين، شاخصاً بصره إلى السماء فأتاهن عبد المطلب فقلن : ما رأينا مولوداً مثله، ووجدناه قد انفلقت عنه البرمة، ووجدناه مفتوحاً عينيه شاخصاً ببصره إلى السماء، فقال : احفظنه، فإنى أرجو أن يصيب خيراً .

د ـ فرح جده عبد المطلب بمولده ﷺ وتسميته له محمداً :

قال ابن إسحاق والواقدى وغيرهما [1] : «لما وضعت آمنة سيدنا رسول الله ﷺ أرسلت إلى جَدّه عبد المطلب : أنه قد وُلِدَ لكَ غلام، فائته، فانظر إليه، فأتاه، ونظر إليه، وحدثته بما رأت حين حملت به، وما قيل لها، وما أُمرت به أن تسميه، فيزعمون أن عبد المطلب أخذه فدخل به الكعبة، فقام يدعو الله ويشكره على ما أعطاه، ثم خرج به ﷺ إلى أمه » .

وروى أبو عمر وأبو القاسم بن عساكر من طرق عن ابن عباس رضى الله عنهما قال : «لما ولد رسول الله ﷺ عَقَّ عنه جده بكبش وسماه محمداً، فقيل له : يا أبا الحارث، ما حملك على أن تسميه محمداً ولم تسمه باسم آبائه؟ قال : أردت أن يحمده الله فى السماء، ويحمده الناس فى الأرض» [2] .

هـ ـ أسماء النبى ﷺ :

روى البخارى عن جبير بن مطعم ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ : «لى خمسةُ أسماءٍ: أنا محمدٌ؛ وأحمدُ، وأنا الماحى الذى يمحو الله بى الكفر، وأنا الحاشر الذى يُحشر الناس على قدمى، وأنا العاقب» . ورواه مالك فى «الموطأ» .

وروى مسلم عن أبى موسى الأشعرى ﷺ قال : كان رسول الله ﷺ يُسمى لنا نفسه أسماءً فقال : «أنا محمدٌ، وأحمدُ، والمُقَفّى، والحاشِرُ، ونبى التوبة، ونبى الرحمة». والمُقَفِّى : أى : آخر الأنبياء، فإذا قفى فلا نبى بعده [3] .

---

(١) سبل الهدى والرشاد .
(٢) المصدر السابق (١/ ٣٦٨) .
(٣) الجامع فى السيرة النبوية (١/ ١٤٤) .

وروى الحاكم، وقال : صحيح على شرط الشيخين، ولم يخرجاه، وأقره الذهبى (٣/ ٤١٥)، عن عوف بن مالك الأشجعى قال : انطلق النبى ﷺ وأنا معه حتى دخلنا كنيسة يهود، فذكر الحديث، وفيه : قال النبى ﷺ : «أبيتم؛ فو الله، لأنا الحاشر، وأن العاقب، وأنا النبى المصطفى» .

ومن أسمائه ﷺ التى سماه الله تعالى بها فى القرآن :

محمد وأحمد،وطه، ويس، وعبد الله، ورسول، ونبى، وأمّى، وشاهد، ومبشر، ونذير، وداع إلى الله، وسراج منير، ورؤوف رحيم، ونذير مبين، ومذكِّر، وعبد، وشهيد، ومصدق، ونور، وغيرها كثير ﷺ تسليماً كثيراً .

الأساس الخامس : مرضعات النبى ﷺ [1] وأخباره معهن :

١ـ أسماء المرضعات :

الأولى : أمه آمنة بنت وهب، أرضعته سبعة أيام.

الثانية : ثُوَيْبة مَولاة أبى لهب، كان أبو لهب أعتقها عندما أخبرته بولادة النبىﷺ، فأرضعت النبى ﷺ بلبن ابنها مَسْروح .

وروى البخارى قول النبى ﷺ : «أرضعتنى وأبا سلمة ثُوَيْبَة» . وهى أرضعت حمزة بن عبد المطلب عم النبى ﷺ قبله، كما رواه ابن سعد فى الطبقات (١/ ١٠٨) وأرضعت عبد الله بن جحش كما ذكره السهيلى (١/ ١٨٦) .

الثالثة : امرأة من بنى سعد غير حليمة، روى ابن سعد (١/ ٣٧٥) عن ابن أبى مليكة ـ رحمه الله تعالى : كان حمزة بن عبد المطلب رضيع رسول الله ﷺ أرضعتهما امرأة من العرب، كان حمزة مسترضعاً لها عند قوم من بنى سعد بن بكر، وكانت أم حمزة قد أرضعت رسول الله ﷺ يوماً وهو عند أمه حليمة .

---

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد (١/ ٣٧٥) والجامع فى السيرة النبوية (١/ ١٤٨) .

الرابعة : أم أيمن بركة، ذكرها القرطبى، والمشهور أنها من الحواضن لا من المراضع .

الخامسة والسادسة والسابعة : قال أبو عمر ـ رحمه الله تعالى : إنه ﷺ مُرّ به على نسوة ثلاث من بنى سُليم، فأخرجن ثديهن فوضعنها فيه فدرّت عليه، ورضع منهن.

الثامنة : أم فروة، ذكرها المُسْتغفرى، ثم روى عن ابن إسحاق عن أم [1] فروة ظئر النبى ﷺ قالت : قال رسول الله ﷺ : «إذا أويت إلى فراشك فاقرأ : ﴿ قُلْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١﴾ ﴾ [الكافرون]، فإنها براءة من الشرك» .

التاسعة : حليمة بنت أبى ذُؤيب السعدية . قال النووى ـ رحمه الله : كنية حليمة أم كَبشة .

٢ ـ الآيات الباهرات التى حصلت للنبى ﷺ مع مرضعته حليمة السعدية [2] وحادثة شق الصدر الأولى واستخراج حظ الشيطان من قلبه الشريف .

روى ابن إسحاق وابن راهويه وأبو يعلى والطبرانى وابن حبان ﷺ عن عبد الله ابن جعفر ﷺ قال : حدثتنى حليمة .

والبيهقى وابن عساكر عن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ وفى سنده من تُكلم فيه، لكن لأكثره شاهد قوى .

والبيهقى عن الزُّهرى وأبو يعلى وأبى نُعيم عن شداد بن أوس مرفوعاً مختصراً، والإمام أحمد والدارمى عن عتبة بن عبد الله مرفوعاً مختصراً، وأبو نُعيم عن بُريدة .

وابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر عن يحيى بن يزيد السعدي، وابن سعد عن زيد بن أسلم ﷺأن حليمة قالت :

---

(١) صحيح . ابن حجر فى (الإصابة) : أنه أبو فروة . وهو راوى الحديث .

(٢) سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد (١/ ٣٨٦) وانظر : صحيح السيرة النبوية (ص٣٨)، والجامع فى السيرة النبوية (١/ ١٦٠-١٦٨) .

قدمت على أتان قَمْراء قد أَزمَّت بالرّكب حتى شقَّ ذلك عليهم ضعفاً وعَجفاً، ومعى صبى لنا، وشارف لنا، والله ما تَبِضُّ بقطرة، وما ننام ليلنا أجمع، من صبينا ذاك، لا يجد فى شارِفنا ما يكفيه، ولا فى ثديى ما يُغنيه، فقدمنا مكة .

قالت : فوالله، ما علمتُ امرأة منا إلا وقد عُرض عليها رسول الله ﷺ فتأباه إذا قيل لها بأنه يتيم، وذلك أنا إنما كُنا نرجو المعروف من أبى الصبي، فكنا نقول : يتيم ما عسى تصنع أمّه وجَدّه؟! فكنا نكرهه لذلك، فو الله ما بقى من صواحبى امرأة إلا أخذت رضيعاً غيري، فلما لم أجد غيره قلت لزوجى : والله إنى لأكره أن أرجع من بين صواحبى ليس معى رضيع؛ لأنطلقن إلى ذلك اليتيم فلآخذنه فذهبت فأخذته فجئت به رحلى فقالت آمنة: يا حليمة قيل لى ثلاث ليال : استعرضعى ابنك فى بنى سعد بن بكر، ثم فى آل أبى ذُؤَيب، قالت حليمة : فإن زوجى أبو ذؤيب، وإنها أخبرتها بما رأت فى حمله ﷺ وحين وضعته .

قالت حليمة : فلما وضعته فى حجرى أقبل عليه ثَدْياى بما شاء الله من لبن، فشرب حتى رَوِى؛ ثم شرب أخوه حتى رَوِى؛ ثم ناما .

وقام زوجى إلى شارِفنا، فإذا إنها لحافل؛ فحلَب فشرب وشربتُ حتى انتهينا، وبتنا بخير ليلة .

فقال صاحبى : تعلمى يا حليمة، والله إنى لأراك قد أخذت نَسَمةً مباركة، ألم ترى إلى ما بِتنَا فيه الليلة من الخير والبَركة حين أخذناه؟! قلت : والله، إنى لأرجو ذلك .

وفى حديث إسحاق بن يحيى عند ابن سعد : أن اليهود مرُّوا على حليمة، فقالت: ألا تحدثوننى عن ابنى هذا، فإنى حملتُه كذا، ووضعته كذا، ورأيت كذا، كما وصفته أمه، فقال بعضهم لبعض : اقتلوه، فقالوا : أيتيم هو ؟ قالت : لا، هذا أبوه وأنا أمه، فقالوا : لو كان يتيمًا قتلناه .

قالت : ثم رجعنا وركبتُ أتاني، وحملته عليها معى، فو الله لقد قطعت أتانى

بالركب حتى ما يتعلق بها حمار، حتى إن صواحبى ليقُلن لى : يا بنت أبى ذؤيب ويحك! ارْبَعى علينا، أهذه أتانُك التى خرجت عليها معنا؟ فأقول : نعم، والله إنها هى، فيقلن : والله إن لها لشأناً .

وفى حديث الزهرى: أن حليمة نزلت به ﷺ سوق عكاظ فرآه كاهن من الكهان، فقال : يا أهل سوق عكاظ، اقتلوا هذا الغلام فإن له مِلْكاً . فزاغت به حليمة، فأنجاه الله تعالى منهم .

ثم قَدِمنا أرض بنى سعد، وما أعلم أرضًا من أرض الله تعالى أجدَبَ منها، فكانت غنمى تسرح ثم تروح شباعًا لبنًا، فنحلب ونشرب، وما يحلب إنسان قطرة لبن، ولا يجدها فى ضرْع، إن كان الحاضر من قومنا ليقولون لرعاتهم : ويحكم ! انظروا حيث تسرح غنمُ حليمةَ فاسرحوا معهم ، فيسرحون مع غنمى حيث تسرح، فتروح أغنامهم جياعًا ما فيها قطرة لبن، وتروح غنمى شباعًا لبنًا .

قالت : ولما دخلتُ به إلى منزلى لم يبق منزل من منازل بنى سعد إلا شممنا منه ريح المسك، وألقيت محبته ﷺ فى قلوب الناس ، حتى إن أحدهم كان إذا نزل به أذى فى جسده أخذ كفّه ﷺ فيضعها على موضع الأذى، فيبرأ سريعًا بإذن الله تعالى، وكانوا إذا اعتلّ لهم بعيرٌ أو شاةٌ فعلوا ذلك .

وروى أبو نُعيم عن بعض من كان يرعى غنم حليمة : أنهم كانوا يرون غنمها ما ترفع برؤوسها، وتُرَى الخُضَر فى أفواهها وأبعارها، وما تزيد غنمنا على أن تربض ما تجد عوداً تأكله .

قالت حليمة : فلم يزل الله تعالى يرينا البركة ونتعرّفها حتى بلغ ﷺ سنتين، فكان يشبّ شبابًا لا يشبُّه الغلمان .

وفى حديث ابن عباس رضى الله عنهما كان أول كلام تكلم به ﷺ حين فطمته : الله أكبر كبيرًا، والحمد لله كثيرًا، وسبحان الله بُكرة وأصيلًا .

وروى أبو نُعيم عن بعض رُعاة حليمة قالوا : مكث رسول الله ﷺ سنتين حين فطم وكأنه ابن أربع سنين، فقدموا به على أمه زائرين لها، وهم أحرص شيء على ردّه مكانه؛ لما رأوا من عِظَم بركته، فلما كانوا بوادى السّرر لقيتْ نفرًا من الحبشة فرافقتهم، فسألوها فنظروا إلى رسول الله ﷺ نظرًا شديدًا، ثم نظروا إلى خاتم النبوة بين كتفيه وإلى حُمْرة فى عينيه فقالوا : هل يشتكى عينه ؟ قالت : لا، ولكن هذه الحمرة لا تفارقه، قالوا : والله نبى . ا.هـ .

قالت : فقدمنا به إلى أمه فلما رأته قلنا لها : اتركى ابننا عندنا هذه السنة، فإننا نخاف عليه وباء مكة، فو الله ما زلنا بها حتى قالت : نعم، فسرحته معنا .

وعن أبى نُعيم عن بعض رعاة حليمة : أنها مرت بذى المجاز وهى راجعة برسول الله ﷺ وبه عرَّاف يُؤتى إليه بالصبيان ينظر إليهم، فلما نظر إلى رسول الله ﷺ وإلى الحمرة بين عينيه وإلى خاتم النبوة صاح : يا معشر العرب، اقتلوا هذا الصبى فليقتلن أهل دينكم وليَكسرن أصنامكم، وليظهرنْ أمرُه عليكم، فانسلّت به حليمة.

زاد ابن سعد : فجعل الهُذَلى يصيح : يا لهُذيل! وآلهته، إن هذا لينتظر أمراً من السماء، وجعل يُغْرى بالنبى ﷺ، فلم ينشب أن دِلِه فذهب عقله حتى مات كافراً .

فأقمنا شهرين أو ثلاثة، وكان ﷺ يخرج فينظر إلى الصبيان يلعبون فيجتنبهم .

وفى حديث الزهرى عند ابن سعد قال : كانت حليمة لا تدع رسول الله ﷺ يذهب مكانًا بعيدًا، فغفلت عنه يومًا فخرج مع أخته الشيماء فى الظهيرة، فخرجت حليمة تطلبه حتى وجدته مع أخته، فقالت : فى هذا الحر ؟ فقالت أخته : يا أمه، ما وجد أخى حرًا، رأيت غمامة تُظلّ عليه إذا وَقَفَ وَقَفَتْ، وإذا سارَ سارتْ حتى انتهى إلى هذا الموضع، قالت : حقّاً يا بنية ؟ قالت : إى والله . اهـ .

فقال لى يومًا : يا أماه، ما لى لا أرى إخوتى بالنهار؟ قالت : يرعون بُهماً غنماً لنا فيروحون من الليل إلى الليل، فقال : ابعثينى معهم، فكان ﷺ يخرج مسروراً ويعود

مسروراً، فلما كان يوماً من ذلك خرج، فلما انتصف النهار إذ جاءنا أخوه يشتدّ فقال: يا أبتِ، ويا أُمه، الحقا أخي محمداً، فما تلحقانه إلا ميتاً، قلت : وما قصته؟ قال : بينا نحن قيام إذ أتانا رجل فاختطفه من أوساطنا وعلا به ذروة جبل، ونحن ننظر إليه؛ حتى شق من صدره إلى عانته ـ وعند ابن إسحاق : ورَجُلان عليهما ثياب بيض فشقّا بطنه فهما يسُوطانه . اهـ ـ وما أدرى ما فعل فأقبلت أنا وأبوه نسعى سعياً، فإذا به قاعد على ذرْوة الجبل شاخصاً ببصره إلى السماء فنجده مُنتقعاً لونه، فأكبَبْتُ عليه، وقبّلت بين عينيه، وقلت : فدتك نفسى ما دَهاك؟ قال : خيراً يا أماه، بينا أنا الساعة قائم إذ أتانى رهطٌ ثلاث بيد أحدهم إبريق فضة، وفى يد الثانى طسْت من زمرّدة خضراء ملآن ثلجاً، فأخذونى وانطلقوا بى إلى ذروة الجبل، فأضجعونى إضجاعاً لطيفاً، ثم شق أحدهم من صدرى إلى عانتى وأنا أنظر إليه فلم أجد لذلك حسّاً ولا ألماً، ثم أدخل يده فى جوفى، فأخرج أحشاء بطنى فغسلها بذلك الثلج، فأنعم غسلها ثم أعادها . كذا فى حديث ابن عباس عند البيهقى، وشدّاد بن أوس عند أبى يعلى، وأبى نُعيم .

وفى صحيح مسلم : فأتاه جبريل فأخذه فصرعه فشقّ عن قلبه واستخرج القلب، ثم شق القلب فاستخرج منه علقة سوداء، فقال : هذا حظ الشيطان منك ياحبيب الله، ثم حشاه بشىء كان معه وردّه مكانه ثم ختمه بخاتم النبوة من نور، فأنا الساعة أجِد بَرْدَ الخاتَم فى عروقى ومفاصلى . وقام الثالث فقال : تَنَحّيا فقد أَنْجزتما ما أمركما الله تعالى به، ثم دنا منى فأمرّ يده من مَفْرق صدرى إلى منتهى عانتى، فالتام الشق بإذن الله تعالى .

وفى حديث عبد الله بن عُتْبة : فأقبل إلى طائران أبيضان كأنهما نَسْران فقال أحدهما لصاحبه : أهو هو؟ قال : نعم . فأقبلا يبتدرانى فأخذانى فبطحانى لِلْقَفا فشقّاه، فأخرجا منه علقتين سوداوين . فقال أحدهما لصاحبه : ايتنى بماء ثلج، فغسلا به جوفى . ثم قال : ايتنى بماء بَرَد فغسلا به قلبى، ثم قال : ايتنى بالسكينة

فذَرّاها فى قلبى، ثم أخذ بيدى فأنهضنى إنهاضاً لطيفاً، ثم قال الأول : زِنْه بعشرة من أمته، فوزنونى بهم ، فجعلت أنظر إلى الألف فوقى أُشفق أن يخرّ على بعضهم فرجحتهم، فقال : دعُوه فلو وزنتموه بأمته كلها لرجحهم، ثم ضمّونى إلى صدورهم، وقبّلوا رأسي، وما بَيْنَ عينيّ، ثم قالوا : يا حبيب الله، لم تُرَعْ إنك لو تدرى ما يراد بك من الخير لقرّت عيناك . قالت حليمة : فأتيت به منازل بنى سعد فقال الناس : اذهبوا به إلى الكاهن حتى ينظر إليه ويداويه، فقال : ما بى شىء مما تذكرون، إنى أرى نفسى سليمة، وفؤادى صحيح، فقال الناس : أصابه لَمٌ أو طائف من الجن، فغلبونى على أمرى، فانطلقت به إلى الكاهن فقصصتُ عليه القصة، فقال : دعينى أنا أسمع منه، فإن الغلام أبصر بأمره منكم، تكلّم يا غلام، فقص عليه، فوثب الكاهن قائماً على قدميه ونادى بأعلى صوته : يا للعرب من شر قد اقترب، اقتلوا هذا الغلام، واقتلونى معه، فإنكم لئن تركتموه؛ وأدرك مدارك الرجال ليُسفهنَّ أحلامَكم وليكذِّبن أربابكم، وليَدْعونكم إلى رب لا تعرفونه، ودين تُنكرونه، قالت : فلما سمعت مقالته انتزعته من يده، وقلت : لأنت أَعْتَه منه وأَجنَّ، ولو علمت هذا من قولك ما أتيتك به، اطلب لنفسك من يقتلك، فإنا لا نقتل محمداً . فأتيتُ به منزلى فما أتيتُ منزلاً من منازل بنى سعد إلا وقد شَممناَ منه ريح المِسْك . فقال الناس : يا حليمة ! رديه إلى جَدّه؛ واخرجى من أمانتك، وقال زوجى: أرى أن نرده على أمه لتعالجه فو الله إن أصابه ما أصابه إلا حسداً من آل فلان؛ لما يرون من عظيم بركته يا حليمة، أخذناه ولنا أعنز عِجَافٌ فهن اليوم ثلاثمائة .

قالت : فعزمت على ذلك، فسمعت منادياً ينادى : هنيئاً لك يا بطحاء مكة؟ اليوم يُرَدّ إليك النور والدين والبهاء والكمال، فقد أَمِنْتِ أن تُخْذَلى أو تُخزَى أبد الآبدين .

وروى ابن سعد (١/ ١١٢) : ولما بلغ النبى ﷺ أربع سنين كان يغدو مع أخيه وأخته فى الَبهْم قريباً من الحى، فأتاه الملكان هناك، فشقا بطنه، واستخرجا علقة

سوادء فطرحاها، وغسلا بطنه بماء الثلج فى طست من ذهب ....

قال ابن إسحاق ـ رحمه الله : وزعم الناس فيما يتحدثون ـ والله تعالى أعلم ـ أن أمه السعدية لما قدمت به مكة أضلّها فى الناس وهى مُقبلة نحو أهله، فالتمستْه فلم تجده فأتت عبدَ المطلب فقالت : إنى قدمت بمحمد هذه الليلة، فلما كنت بأعلى مكة أضلّنى، فو الله ما أدرى أين هو ؟ فقام عبد المطلب عند الكعبة يدعو الله تعالى أن يرده ﷺ . زاد البيهقى ـ رحمه الله تعالى : فقال عبد المطلب :

يا ربَّ إنَّ محمداً لم يوجَدْ ... فجمْعُ قومى كلُّهم مُبَدَّدْ

وزاد ابن سعد وابن الجوزى : فقال عبد المطلب :

لا هُمَّ رُد راكبى محمدا ... ارْدُدْهُ لى ثُمَّ اتخذْ عندى يداَ

أنتَ الذى جعلْتَه لى عَضُدا ... لا يَبْعدِ الدهرُ به فيَبْعَدَا

أَنت الذى سميته محمدا

فسمع هاتفاً من السماء [1] : أيها الناس، لا تضجّوا، إن لمحمد ﷺ رباً لن يخذله، ولن يضيعه، فقال عبد المطلب : من لنا به ؟ فقال : إنه بوادى تهامة عند الشجرة اليُمنى، فركب عبد المطلب نحوه، وتبعه ورقة بن نوفل، وسارا فإذا النبى ﷺ قائم تحت شجرة يَجذب غُصناً من أعصانها، فقال له جدّهُ : من أنت يا غلام؟ قال : أنا محمد بن عبد الله بن عبد المطلب، قال : وأنا جَدّك، فدتْك نفسى، واحتمله، وعانقه، وهو يبكى، ثم رجع إلى مكة وهو قُدّامه على قَربُوس فرسه، فاطمأنت قريش، ونحر عبد المطلب عشرين جَزوراً، وذبح الشّياه والبقر، وأطعم أهل مكة من ذلك ا.هـ .

---

(١) إن هاتف السماء قد حصل لبعض الصحابة: فقد أخرج البزار بإسناد حسن عن ابن عباس رضى الله عنهما : أن رسول الله ﷺ بعث أبا موسى على سرية فى البحر، فبينما هو كذلك قد رفعوا الشراع فى ليلة مظلمة، إذا هاتف فوقهم يهتف : يا أهل السفينة، قفوا أُخبركم بقضاء قضاه الله على نفسه .فقال أبو موسى : أخبرنا إن كنت مخبراً، قال : إن الله تبارك وتعالى قضى على نفسه أنه من أعطش نفسه له، فى يوم صائف، سقاه الله يوم العطش، فإن يحصل الهاتف من السماء لرسول الله ﷺ وهو صغير من باب أولى .

قالت حليمة : فقالت أمه : ما ردّكما به يا ظئر، فقد كنتما عليه حريصين؟ قلنا : نخشى الإتلاف والأحداث . فقالت : ما ذاك بكما أُصدقانى شأنكما؟ فلم تَدعْنا حتى أخبرناها خبره، فقالت : أخشيتما عليه الشيطان ؟ كلا والله، ما للشيطان عليه سبيل، والله إنه لكائن لابنى هذا شأن . ألا أخبركم خبره؟ قلنا : بلى، قالت : حملتُ به فما حملتُ حملا قط أخفّ منه، فأُريتُ فى النوم حين حملت به خرج منى نور أضاءت له قصور بُصرى من أرض الشام، ثم وقع حين ولدتُه وقعا ما يقعه المولود معتمداً على يديه رافعاً رأسه إلى السماء . قالت حليمة : وحدثتُ عبدَ المطلب حديثه كله، فقال : يا حليمة، إن لابنى هذا شأناً، ودِدْتُ أنى أُدْرك ذلك الزمان، ثم جهَّزنى عبدُ المطلب أحسن جهاز، وصرفنى إلى منزلى بكل خير .

وذكر ابن المعلّى الأزدى ـ رحمه الله تعالى ـ فى كتاب «التَرْقيص» أن من شعر حليمة مما كانت تُرقص به النبى ﷺ :

يـــا رب إذْ أعطيتَـــهُ فأبْقِـــهِ وأَعْلـــــه إلى العُـــــلا ورَقِّـــــهِ

وادْحَضْ أباطيلَ العدَا بحقِّـهِ

وذكر ابنُ سَبع ـ رحمه الله تعالى ـ أن حليمة قالت : كنت أُعطيه ﷺ الثدى فيشرب منه ثم أحوّله إلى الثدى الأيسر فيأبى أن يشرب منه قال بعضهم : وذلك من عدله ﷺ لأنه علم أن له شريكاً فى الرضاعة . وكان ﷺ مفطوراً على العَدْلِ، مجبولاً على جميل المشاركة والفضل ﷺ وزاده فضلاً، وشرفاً لديه .

الأساس السادس : سفر الرسول ﷺ مع أمه آمنة بنت وهب إلى المدينة المنورة وعمره ست سنوات، ووفاة آمنة فى طريق العودة بالأبواء :

تقدم معنا خوف حليمة السعدية وزوجها على النبى ﷺ بعد حادثة شق الصدر، ومشاهدة نفر الحبشة النصارى له ومحاولة أخذه منها، مما دعا حليمة السعدية لرد الرسول ﷺ إلى أمه وعمره أربع سنوات، فأرادت أمة أن تزور المدينة لتزور قبر زوجها، وتعرف رسول الله ﷺ على أخواله بنى النجار، وجاءته هذه القرابة أن أم عبد المطلب بن هاشم هى سلمى بنت عمرو النجارية (أى أم جد النبى ﷺ من بنى النجار)، فهذه الخؤولة التى ذكر ابن إسحاق لرسول الله ﷺ كما ذكرها ابن هشام (١/ ١٨٠).

روى ابن سعد (١/ ١١٦) عن ابن عباس رضى الله عنهما وغيره قالوا :

كان رسول الله ﷺ مع أمه آمنةَ بنت وَهْب، فلما بلغ ﷺ ست سنين خرجت به إلى أخواله بنى عدىّ بن النجار بالمدينة تزورهم به، ومعه أم أيمن تحْضُنُه وهم على بعيرين، فنزلت به فى دار النابغة، فأقامت به عندهم شهراً، فكان رسول الله ﷺ يذكر أموراً كانت فى مُقَامِه ذلك، ولما نظر إلى أُطُم بنى عدى بن النجار عَرَفه وقال[1] ﷺ : « كنت أُلاعبُ أنيسَةَ جاريةً من الأنصار على هذا الأُطُم، وكنتُ مع غِلْمانٍ من أخوالى نُطيرٌ طائراً كان يقعُ عليه» .

ونظر إلى الدار فقال ﷺ : « هَا هُنا نزلتْ بى أمى، وفى هذه الدار قبر أبى عبد الله ابنُ عبد المطلب، وأحسنتُ العَوْم (أى السباحة) فى بئر بنى عدى بنِ النجار» .

وكان قومٌ من اليهود يختلفون (أى : يأتى الواحد تلو الآخر) ينظرون إليه، فقالت أم أيمن : فسمعت أحدَهم يقول : هو نبى هذه الأمة، وهذه دارُ هِجْرته، فوعيتُ ذلك كلَّه من كلامه[2] .

---

(١) أى : بعد الهجرة وزيارته لبيت النابغة .

(٢) أخرجه إلى هنا أبو نعيم فى الدلائل (١/ ٢٠٤) .

ثم رجعتْ به أمُّه إلى مكة، فلما كانوا بالأبواء تُوفيت آمنة بنت وَهْب (رحمها الله تعالى) فقبرها هناك.

فرجعت به أم أيمن على البعيرين اللذين قدِموا عليهما مكة وكانت تحضنه مع أمه.

ثم بعد أن ماتت، ومرَّ رسول الله ﷺ فى عمرة الحديبية بالأبواء قال: «إن الله قد أَذِنَ لمحمد ﷺ فى زيارة قبرِ أُمِّه، فأتاه رسول الله ﷺ فأصلحه. وبكى عنده، وبكى المسلمون لبكاء رسول الله ﷺ فقيل له، فقال: «أدركتنى رحمتُها فبكيتُ».

وروى أبو نعيم عن أم سماعة بنت أبى رُهم عن أمها قالت: شهدت آمنة بنت وهب فى علتها التى ماتت فيها، ومحمد ﷺ غلام يفع له خمس سنين عند رأسها فنظرت إلى وجهه، ثم قالت:

بَارَكَ فيكَ اللهُ مِنْ غُلام ... يا بْنَ الذى مِنْ حَوْمَةِ الحِمَامِ

نَجَا بِعَوْنِ المَلِكِ المِنْعَامِ ... فُودِيَ غداةَ الضّرْبِ بالسِّهام

بمائةٍ مِنْ إبلٍ سَوامِ ... إنْ صَحَّ ما أَبصَرْتُ في منامي

فأنتَ مبعوثٌ إلى الأنامِ ... مِنْ عِنْد ذى الجلال والإكرام

تُبعثُ في الحِلِّ وفي الحَرَامِ ... تُبعثُ بالتحقيقِ والإسلامِ

دينُ أبيكَ البَرّ إبراهام ... تُبعثُ بالتخفيف والإسلام

أنْ لا تُوالِيَهَا مع الأقوامِ ... فالله أنهاك عن الأصنامِ[1]

(١) انظر: سبل الهدى والرشاد في سيرة خير العباد (٢ / ١٢١).

الأساس السابع : الحادثة الثانية لشق صدره ﷺ وعمره عشر سنين وإخراج الغل والحسد من قلبه :

سبق أن سقنا حديث شق صدر النبى ﷺ وهو ابن أربع سنين عند حليمة السعدية واستخراج حظ الشيطان منه، وهناك حادثة ثانية فيها تصريح من النبى ﷺ بحادثة شق صدره الشريف وهو ابن عشر سنين، واستخراج الغل والحسد وإدخال الرأفة والرحمة فى قلبه الشريف :

روى الإمام أحمد (٥ / ١٣٩) أن أبا هريرة ﷺ كان حرياً[1] على أن يسأل رسول الله ﷺ عن أشياء لايسأله عنها غيره، فقال : يا رسول الله، ما أولُ ما رأيت فى أمر النبوة ؟ فاستوى رسول الله ﷺ جالسًا، وقال : «لقد سألت يا أبا هريرة، إنى لفى صحراء ابن عشر سنين وأشهر، وإذ بكلام فوق رأسي، وإذا رجلٌ يقول لرجل : أَهُوَ هُوَ ؟ قال : نعم، فاستقبلانى بوجوه لم أرها لخَلْقٍ قطّ، وأرواح لم أجدها من خلق قطّ، وثياب لم أرها على أحد قطّ، فأقبلا إلى يمشيان حتى أخذ كل واحد منهما بعضدى لا أجد لأحدهما مَسًّا، فقال أحدهما لصاحبه : أضجعْهُ فأضجعانى بلا قَصْرٍ ولا هَصْرٍ (أى : ولا جذب)، وقال أحدهما لصاحبه : افْلِق صَدره، فهوى أحدهما إلى صدرى فَفلقَها فيما أرى بلا دم ولا وجع، فقال له : أخرج الغلّ والحسدَ، فأخرجَ شيئاً كهيئة العلَقةِ، ثم نبذها فطرحها، فقال له : أدْخِل الرأفةَ والرحمة، فإذا مثلُ الذى خرج يُشبه الفضةَ ثم هزّ إبهام رجلى اليُمنى، فقال : اغْدُ واسْلَمْ، فرجعت بها أغدو رقّةً على الصغير ورحمةً للكبير» . أخرجه أبو نعيم فى دلائل النبوة (١/ ٢٨٥) وقال : وهذا الحديث مما تفرد به معاذ بن محمد، وتفرد بذكر السن الذى شق فيه عن قلبه، وأخرجه الهيثمى فى مجمع الزوائد (٨ / ٢٢٢) وقال : رواه عبد الله بن أحمد ورجاله ثقات، وثقهم ابن حبان[2] . ورواه الضياء فى «المختارة» والحاكم وأبو نعيم وابن عساكر .

---

(١) فى رواية مجمع الزوائد (٨ / ٢٢٢) : كان حريصاً .

(٢) انظر : الجامع فى السيرة النبوية (١/ ١٦٣) تأليف سميرة زايد، قالت فى الهامش: وقعت حادثة شق الصدر للنبى ﷺ : أربع مرات اثنتان فى الطفولة والثالثة عند المبعث ورابعة فى ليلة الإسراء، قال محمد نور : وفى ذلك زيادة فضل من الله وعناية، ومزيد رعاية، وتهيئة للصعود للملأ الأعلى .
وكذلك روى الروايات الأربع فى شق صدر النبى ﷺ أربع مرات. الصالحى فى كتابه سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد (٢/ ٥٨) .

الأساس الثامن : كفالة عبد المطلب جد النبى ﷺ لـه وحـضانة أم أيمـن لـه[1] واستسقاء أهل مكة بجده :

١ـ فى كفالة جده :

لّما توفيت آمنةُ أُم رسول الله ﷺ ضمّه إليه جده عبد المطلب، ورقَّ عليـه رقـةً لم يرقَّها على ولده .

قال ابن إسحاق : حدثنى العباس بن عبد الله بن مَعْبَد عن بعـضِ أَهلـه قـال : كان يوضع لعبد المطلب فراشٌ فى ظل الكعبة، وكان لا يجلس عليـه أحـد مـن بنيـه إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتى حتـى يجلـس عليـه فيـذهب أعمامـه يؤخِّرونـه فيقول جده : دَعُوا ابنى . فيمسح ظهره ويقول : إنَّ لابنى هذا لَشأنًا .

وروى أبو نُعَيْم عن ابن عباس رضى الله عنهما مثله . وزاد : دَعُوا ابنى يجلس فإنه يحس من نفسه بشىء، وأرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده.

وروى ابن سعد وابن عساكر عن الزُّهرى ومجاهد ونافع وابن جُبَيْر قالوا : كان النبى ﷺ يجلس على فراش جده فيذهب أعمامه ليؤخِّروه فيقول عبد المطلب : دعـوا ابنى ليؤنس مُلكاً[2].

وقال قوم من بنى مُدْلج لعبد المطلب : احتفظ به فإنه لم نَـرَ قـدماً أَشـبه بالقـدم التى فى المقام منه .

وقال عبد المطلب لأُم أيمن : يا بركة احتفظى به لا تَغْفلى عنه؛ فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبىّ هذه الأمة .

---

(١) ننقل هذه الفقرات من كتاب سبل الهدى والرشاد فى سيرة خير العباد للصالحى (١/ ٢١٤ ـ ٢٢٣) مع حواشيها حتى نهاية الباب . مـع التـصرف اليـسير والانتقـاء، تحقيـق الـشيخ عـادل أحمـد عبـد الموجود، والشيخ محمد على معوض .

(٢) أخرجه ابن سعد فى الطبقات (١ / ٧٠) .

وروى المحَاملى عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال : سمعت أبى يقول: كان لعبد المطلب مَفرش فى الحِجر لا يجلس عليه غيره، وكان حَرْب بن أُمية فمن دونه يجلسون حَوله دون المفرش، فجاء رسول الله ﷺ يوماً وهو غلام لم يبلغ الحلُم فجلس على المفرش فجذبه رجل، فبكى رسول الله ﷺ ، فقال عبد المطلب وذلك بعد ما كُفّ بصره : ما لابنى يبكى ؟ قالوا له : أَراد أن يجلس على المفرش فمنعوه . فقال : دعوا ابنى يجلس عليه، فإنه يحس من نفسه بشرف، وأَرجو أن يبلغ من الشرف ما لم يبلغه عربى قبله ولا بعده .

وروى البَلاذرىُّ عن الزُّهري، ومحمد بن السائب : أن عبد المطلب كان إذا أُتى بالطعام أَجلس رسول الله ﷺ إلى جَنْبه، ربما أقعده على فخذه، فيُؤثره بأطيب طعامه، وكان رقيقاً عليه برَّاً به، فربما أُتى بالطعام وليس رسول الله ﷺ حاضراً فلا يمسُّ شيئاً منه حتى يؤتى به . وكان يُفْرش له فى ظل الكعبة ويجلس بَنُوه حول فرشه إلى خروجه، فإذا خرج قاموا على رأسه مع عَبيده إجلالاً له، وكان رسول الله ﷺ يأتى وهو غلام جَفْر فيجلس على الفراش فيأخذه أعمامه ليؤخّروه فيقول عبد المطلب : دعوا ابنى ما تريدون منه ؟ إن له لشأنا ويقبّل رأسه ويمسح صدره ويُسرّ بكلامه وما يَرى منه .

وروى ابن نُعيم عن محمد بن عمر الأسلمى عن شيوخه قالوا : بَيْنا عبد المطلب يوماً فى الحِجر وعنده أُسقفُ نجران وهو يحادثه ويقول : إنا نجد صفة نبى بقى من ولد إسماعيل، هذا البلد مَولده وصفته كذا وكذا . وأَتى رسول الله ﷺ فنظر إليه الأسقفُ وإلى عينيه وإلى ظهره وإلى قدميه فقال : هو هذا، ما هذا منك ؟ قال : هذا ابنى . قال الأَسقفُ : لا، ما نجد أباه حيّاً . قال : هو ابن ابنى، وقد مات أبوه وأمه حُبلى به . قال : صدقتَ . قال عبد المطلب لبنيه : تحفظوا بابن أَخيكم، ألا تسمعون ما يقال فيه ؟

وروى البخارى فى تاريخه وابن سعد والحاكم وصححه، عن كندير بن سعيد ابن حَيوة[1] ـ ويقال: حَيدة ـ عن أبيه، والبيهقى عن معاوية بن حيدة[2] قال الأول : خرجتُ حاجًّاً فى الجاهلية . وقال الثانى: خرجت معتمراً فى الجاهلية . قالا : فإذا شيخ طويل يطوف بالبيت وهو يقول :

رُدَّ إلىّ راكبـــى محمـــدا ارْدُدْه ربى واتَّخِذ عِنْدِى يدا

فسألا عنه، فقيل : هذا سيد قريش عبد المطلب له إبل كثيرة، فإذا ضل منها شىء بعث فيه بنيه يطلبونها، فإذا غابوا بعث ابن ابنه ولم يبعثه فى حاجة إلا وقد أنجح فيها، وقد بعثه فى حاجة أعيا بنوه وقد أبطأ عليه . قالا : فلم نلبث حتى جاء رسول الله ﷺ بالإبل معه، فقال له عبد المطلب : يا بنى، حزنتُ عليك حزنًا لا تفارقنى بعدُ أبدًا.

وروى ابن الجوزى عن أُم أيمن ـ رضى الله تعالى عنها ـ قال : كنت أُحْضن رسول الله ﷺ فغفلت عنه يوماً، فلم أدر إلا بعبد المطلب قائماً على رأسى يقول : يا بركة . قلت : لبيك . قال : أتدرين أين وجدت ابنى ؟ قلت : لا أدرى . قال : وجدته مع غلمان قريباً من السُّدرة، لا تغفلى عنه، فإن أهل الكتاب يزعمون أنه نبى هذه الأمة، وأنا لا آمنهم عليه .

---

(١) كندير بن سعيد بن حيوة قال : حججت فى الجاهلية فإذا أنا برجل يطوف بالبيت وهو يقول : «رد إلى راكبى محمدا»، وروى عن أبيه روى عنه عباس بن عبد الرحمن : سمعت أبى يقول ذلك .

(٢) معاوية بن حيدة بن معاوية بن كعب القشيرى، صحابى، نزل البصرة، ومات بخراسان، وهو جد بهز بن حكيم . التقريب (٢ / ٢٥٩) .

٢ - فى استسقاء أهل مكة بجده وهو ﷺ معهم وسقياهم ببركته :

روى ابن سعد والبلاذُرىّ وابن أبى الدنيا والطبرانى والبيهقى عن رُقَيقة[١] بنت أبى صَيْفى بن هاشم وكانت لِدَة[٢] عبد المطلب قالت: تتايعت[٣] على قريش سِنُون[٤] جدبة أَقْحلت[٥] الجلدَ وأَدقَّت العظم، فبينا أنا نائمة أو مهوِّمة إذا هاتف[٦] يصرخ بصوت صَحل[٧] يقول: يا معشر قريش، إن هذا النبى المبعوث منكم قد أظلتكم أيامه، وهذا إبان[٨] مَخرجه، فحيّهلا[٩] بالحيَا والخصب[١٠]، ألا فانظروا رجلاً منكم وسيطاً[١١]، عظاماً[١٢]، جساماً[١٣]، أبيض بَضَّاً[١٤] أَوْطَف[١٥] الأهداب، سهل الخدين، أَشم[١٦] العِرْنين[١٧]، له فخر يَكْظم عليه[١٨] وسُنَّة يهتدى إليها، فليَخْلص هو وولده وولد ولده، وليَدلف[١٩] إليه من كل بطن رجلٌ، فيشنُّوا من

---

(١) رُقيقة: ـ براء مضمومة وقافين مصغرة : بنت أبى صيفى بن هاشم بن عبد المطلب بن هاشم الهاشمية والدة مَخرمة بن نوفل . ذكرها ابن سعد فى المسلمات المهاجرات .

(٢) لدة الرجل : تِرْبه الذى ولد هو وإياه فى وقت واحد .

(٣) التتايع ـ بمثناتين فوقيتين فألف مثناة تحتية فعين مهملة : قال فى النهاية : الوقوع فى الشر من غير فكرة ولا رويّة والمتابعة عليه، ولا يكون فى الخير . وقال غيره : التتابع بالموحدة يقال فى الخير، بالمثناة يقال فى الشر .

(٤) السِّنون : جمع سَنة وهى الجَدب بفتح الجيم وسكون الدال المهملة نقيض : الخِصْب .

(٥) أقحلت ـ بقاف فحاء مهملة : أيبست . مُهَوِّمة ـ بضم الميم وفتح الهاء وكسر الواو المشددة : قال فى النهاية : التَّهويم : أول النوم، وهو دون النوم الشديد.

(٦) الهاتف : ما يُسمَع صوته ولا يرى شخصه .

(٧) بصوت صَحِل ـ بصاد مفتوحة فحاء مهملتين فلام : أى غير حاد الصوت .

(٨) إبّان الشىء ـ بكسر الهمزة وتشديد الموحدة : وقته .

(٩) حيّهلا : اسم فعل بمعنى أقبلوا وأسرعوا، وهى كلمتان جعلتا كلمة فحىّ بمعنى أقبل وهلا بمعنى أسرع .

(١٠) الخصب ـ بالكسر ـ نقيض الجدب .

(١١) وسيطاً ـ يقال فلان وسيط قومه؛ إذا كان أوسطهم نسباً وأرفعهم محلاً .

(١٢) عظاماً ـ بضم العين المهملة بمعنى عظيم .

(١٣) جُساماً ـ بضم الجيم بمعنى : جسيم .

(١٤) بَضَّاً ـ بموحدة فضاد معجمة مشددة : قال فى النهاية : البضاضة رقَّةُ اللون وصفاؤه الذى يؤثر فيه أدنى شىء .

(١٥) أوطف ـ بفتح الواو والطاء المهملة : طول شعر العين مع سعتها .

(١٦) الشمم ـ ارتفاع قصبة الأنف واستواء أعلاها وإشراف الأرنبة قليلاً .

(١٧) العرنين ـ بكسر العين المهملة وسكون الراء : الأنف وهذا اللفظ كناية عن الرفعة والعلو وشرف النفس .

(١٨) يكظم عليه ـ بمثناة تحتانية مفتوحة فكاف ساكنة فظاء مشالة مضمومة فميم، أى : لا يبديه ولا يظهره .

(١٩) يدلفون ـ بدال مهملة وفاء : أى يقربون منهم .

الماء[1]، وليَمسُّوا من الطِّيب، ثم يستلم الركن، وليطوفوا بالبيت سبعاً، ثم ليرتقوا أبا قُبَيس فليستق الرجل وليؤمِّن القوم، ألا وفيهم الطيب الطاهر، فغثتم إذاً ما شئتم.

قالت : فأصبحت مذعورة قد اقشعرَّ جلدى، ووَله عقلى، واقتصيت رؤياى، فنمتُ فى شعاب مكة، فما بقى أبطحىٌّ إلا قال هذا شَيبة الحَمْد . وتتامَّتْ عنده قريش وانفضَّ إليه من كل بطن رجل، فشَنَّوا من الماء، ومسُّوا من الطِّيب، واستلموا وطافوا، ثم ارتقوا أبا قُبيْس، فَطفِق القومُ يَدلِفون حوله ما إن يُدْرك سَعيهم مُهلة، حتى قَرّ لذروته، فاستكفُّوا جانبيه ومعه رسول الله ﷺ، وهو يومئذ غلام قد أَيْفع أو كَرب.

فقال عبدُ المطلب فقال : اللهم، سادَّ الخَلَّة، وكاشف الكربة، أنت عالم غير معلَّم، ومسؤول غير مُبَخَّل، وهذه عبادك وإماؤك بعذرات[2] حَرَمك يَشْكون إليك سنتهم التى قد أَقحلت الظِّلْف والخُفّ، فَأمطِرنا الله غيثاً مَريعاً[3] مُغدِقاً[4] . فما برحوا حتى انفجرت السماء بمائها، وكظَّ الوادى بثجيجه، فسمعت شيخان قريش وهى تقول لعبد المطلب : هنيئًا لك أبا البطحاء، بك عاش أهلُ البطحاء .

وفى ذلك تقول رُقَيقة بنت أبى صَيْفى :

بِشَيْبَةِ الْحَمْدِ أَسْقى الله بَلْدتَنا وقَدْ فَقَدنا الْحَيا[5] وَاجْلَوَّذَ الْمَطَرُ[6]

---

(١) شنوا من الماء : اغتسلوا به . تتام القوم : جاؤوا كلهم وتموا .
(٢) العَذرات ـ بعين مهملة مفتوحة فذال معجمة فراء فتاء تأنيث : جمع عَذِرة بفتح أوله وكسر ثانيه وهى فِناء الدار، وهو سعة أمامها . وقيل : ما امتد من جوانبها .
(٣) مَريعاً ـ بفتح الميم : مُخصباً .
(٤) الغَدق ـ بفتح الغين المهملة : المطر الكِبار القطر، والمُغدق : مُفْعِل فيه .
(٥) الحيا ـ هنا بالقصر : المطر .
(٦) اجلوذ المطر ـ بجيم فلام مشددة مفتوحتين فذال معجمة : قال فى النهاية : امتد وقت تأخره وانقطاعه.

فَجَادَ بِالْمَاءِ جَوْنِىٌّ[1] لَـهُ سَـبَلٌ[2] سَحّاً[3] فعَشَتْ بِهِ الأَنْعامُ وَالـشَّجَرُ

سَـيْلٌ مِـنَ الله بِـالْمَيمونِ طَـائره[4] وخَـيرُ مَـنْ بَـشَّرَتْ يَومـاً بِـهِ مُـضَرُ

مُبارَكُ الأَمْرِ يُسْتَـسْقَى الغَـمامُ بِـهِ ما فى الأنـامِ لـه عِـدْلٌ[5] ولا خطَـرٌ[6]

الأساس التاسع : فيما حصل له ﷺ فى سنة سبع من مولده ووفاة جده ووصيته لأبى طالب بالرسول ﷺ :

١ـ مرضه ﷺ فى سنة سبع من عمره:

قال الحافظ أبو الفرج بن الجوزى فى «الوفا» فى سنة سبع من مولده ﷺ : أصـابه مرض شديد فعولج فى مكة فلم يُعن.

فقيل لعبد المطلب : إن فى ناحية عُكَاظ راهباً يعالج الأعين فركب إليه فناداه ودَيْره مُغلق فلم يجبه فتزلزل دَيره حتى كاد أن يسقط عليه فخرج مبادراً فقال : يا عبد المطلب، إن هذا الغـلام نبـى هذه الأمة، ولو لم أخرج إليك لخرَّ على دَيرى فارجع به واحفظه لا يقتله بعض أهل الكتاب . ثـم عالجه وأعطاه بعض ما يعالَج به . وأُلقى له المحبةُ فى قلوب قومه وكل من يراه .

---

(١)جَونى ـ بفتح الجيم وسكون الواو وتشديد الياء : منسوب إلى الجَون وهـو مـن الألـوان يقـع عـلى الأبيض والأسود، والجمع جُون بضم الجيم.
وقيل : الياء فيه للمبالغة كما يقال فى الأحمر أحمرىّ .

(٢)السَّبل ـ بسين مهملة فباء موحدة مفتوحتين: المطر الجود الهائل يقال: أسبل المطـر والـدمع إذا هطـلا والأسم السَّبَل بالتحريك .
ويقال: السَّحُّ: الصبُّ الكثير.

(٣) سَحّاً ـ بسين فحاء مهملة مشددة مفتوحتين المطر الجود الهائل يقال: أسبل المطـر والـدمع إذا هطـلا والأسم السَّبَل بالتحريك .
ويقال : السَّحُّ : الصبُّ الكثير .

(٤)الميمون طائره : أى المبارك حظه، ويجوز أن يكون أصله من الطير السارح والبارح.

(٥)العدل: بكسر العين : المثل.

(٦)الخطر : بالخاء المعجمة: الشبيه والمثل.

٢ـ فى وفاة جده عبد المطلب ووصيته لأبى طالب برسول الله ﷺ وما ظهر فى ذلك من الآيات :

اختلف فى سن رسول الله ﷺ حين مات جده فقيل : وله ثمانى سنين وقدَّمه فى الإشارة . وقيل : بزيادة شهر وعشرة أيام . وقيل : تسع، وقيل : عشر، وقيل : ست .

ولعبد المطلب عَشر ومائة سنة . وقدَّمه فى الإشارة . وقيل : اثنتان وثمانون سنة، ويقال : بلغ مائة وأربعاً وأربعين سنة . ويقال : خمساً وتسعين سنة . ويقال : مائة وعشرين .

قال الواقدى : وليس ذلك بِثَبت .

وروى محمد بن عمر الأسلَميّ عن أُم أيمن : أنها حَدَّثت أن رسول الله ﷺ كان يبكى خلف سرير عبد المطلب وهو ابن ثمانى سنين، ودفن بالحَجُون .

وروى ابن سعد عن الواقدى عن شيوخه أنه قال لرسول الله ﷺ : أتذكر موت عبد المطلب ؟ قال : نعم، أنا يومئذ ابن ثمانى سنين .

قال ابن إسحاق وغيره : ولما حضرت عبدَ المطلب الوفاةُ أوصى أبا طالب بحفظ رسول الله ﷺ وحياطته والقيام عليه، وأوصى به إلى أبى طالب؛ لأن عبد الله وأبا طالب كانا لأم واحدة، فلما مات عبد المطلب كان أبو طالب هو الذى يلى أمرَ رسول الله ﷺ بعد جده .

وروى ابن سعد والحسن بن عرفة وابن عساكر عن ابن عباس وغيره قالوا : لما توفى عبدُ المطلب قبض أبو طالب رسول الله ﷺ فكان يكون معه، وكان يحبه حباً شديداً لا يحبُّه ولدَه،وكان لا ينام إلا إلى جنبه وصبَّ به[1] صبابة لم يصبّ مثلها قط، وكان يخصه بالطعام، وكان عيالُ أبى طالب إذا أكلوا جميعاً أو فرادى لم يشبعوا وإذا

(١) قال الصالحى ـ رحمه الله : صَبّ به : يقال: صَبّ يَصَبُّ بالفتح صبابةً : رَقَّ شوقُه .

أكل معهم رسول الله ﷺ شبعوا . وكان أبو طالب إذا أراد أن يغدِّيهم أو يعشيهم يقول : كما أنتم حتى يحضر ابنى . فيأتى رسول الله ﷺ فيأكل معهم فيُفضلون من طعامهم، وإن لم يكن معهم لم يُشبعهم، وإن كان لبناً شرب أولهم ثم يتناول العيال القَعْبَ[1] فيشربون منه فيَزْوون عن آخرهم من القعب الواحد، وإن كان أحدهم ليشرب قعباً وحده فيقول أبو طالب : إنك لَمبارك . وكان الصبيان يصبحون رُمصاً شُعثاً[2] ويصبح رسول الله ﷺ دَهيناً كحيلاً .

وروى أبو نعيم عن أُم أيمن قالت : ما رأيت رسول الله ﷺ شكا جوعاً ولا عطشاً لا فى كِبره ولا فى صغره، وكان يَغْدو إذا أصبح فيشرب من ماء زمزم شربة فربما عرضنا عليه الغداء فيقول : أنا شبعان .

وروى الحسن بن سفيان عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال : كان أبو طالب يقرِّب للصبيان تَصبيحهم فيضعون أيديهم فينتهبون فيكفُّ رسول الله ﷺ يده، فلما رأى ذلك أبو طالب عزل له طعامه .

الأساس العاشر : أخبار كفالة عمه أبى طالب الرسول ﷺ :

١ - فى استسقاء أبى طالب برسول الله ﷺ وعطش أبى طالب وشكواه ذلك للنبى ﷺ :

روى ابن عساكر[3] عن جُلهمة[4] بن عُرْفُطة قال : قدمْتُ مكة وقريش فى قحط، فقائل منهم يقول : اعتمدوا اللات والعزَّى . وقائل منهم يقول : اعتمدوا مناة الثالثة الأخرى، فقال شيخ وسيم حسن الوجه جيد الرأى : أَنّى[5] تؤفكون[6]

---

(١) القَعب : قدح من خشب . الشَّعث : تلبد الشعر لقله تعهُّده بالدهن.

(٢) الرَّمص. بالتحريك : وسخ يجتمع فى الموق، فإن سال فهو غمص، وإن جمد فهو رَمَص، الشَّعث : تلبد الشعر لقله تعهُّده بالدهن.

(٣) انظر : الزرقانى على المواهب (١ / ٣٥٥) .

(٤) جُلْهُمة : بجيم مضمومة ولام ساكنة وهاء مضمومة وميم مفتوحة .

(٥) أنّى : بمعنى كيف .

(٦) تؤفكون : تصرفون .

وفيكم بقية إبراهيم وسُلالة إسماعيل . قالوا : كأنك عَنيتَ أبا طالب ؟ قال : إيهًا . فقاموا بأجمعهم وقمت معهم فدققنا عليه بابه، فخرج إلينا رجلٌ وسيم حسن الوجه، عليه إزار قد اتَّشح به، فثاروا إليه فقالوا[1] : يا أبا طالب أقحط الوادى وأَجْدَب العيال فهلم فاسْتَسق لنا، فخرج أبو طالب ومعه غلام كأنه شمس دُجُنَّة[2] تجلَّت عليه سحابةٌ قَتماء[3] وحوله أغَيْلمة، فأخذه أبو طالب فألصق ظهره بالكعبة، ولاذ[4] بأَصبعه الغلامُ وفى السماء قَزَعة[5]، فأقبل السحاب من ها هنا وها هنا، وأغدق[6] واغدودق[7] وانفجر له الوادى، وأخصب النادى والبادى . وفى ذلك يقول أبو طالب :

وأبيَض يُسْتَسقى الْغَمَامُ بِوَجهِهِ ... ثِمالُ[8] اليَتَامى عِصْمةٌ للأرامِلِ

يَلوذُ به الهُلاكُ مِنْ آل هَاشِمٍ ... فهُم عِنْدَهُ فِى نِعمَةٍ وَفَواضِل

وقال ابن سعد : حدثنا الأزرق، حدثنا عبد الله بن عون، عن عمرو بن سعيد أن أبا طالب قال : كنت بذى المجاز[9] مع ابن أخي، يعنى النبى ﷺ، فأدركنى العطش فشكوت إليه فقلت : يا بن أخى، قد عطشت، وما قلت له ذلك وأنا أَرى عنده شيئاً إلا الجَزع قال : فثنى وَرِكه ثم قال : يا عم، عطشتَ ؟ قلت : نعم . فأَهوى بعقبه إلى الأرض فإذا أنا بالماء، فقال : اشرب، فشربت .

وله طرق أخرى رواها ابن الخطيب و ابن عساكر .

---

(١) ثاروا إليه : بالمثلثة : قاموا .

(٢) دُجُنَّة ـ بدال مهملة فجيم مضم ومتين : الظُّلَّة، والجمع دُجُنَّات .

(٣) قَتماء ـ بقاف فتاء مثناة فوقية : الغبراء من القَتَام بالفتح، وهو الغبار .

(٤) لاذ به : طاف .

(٥) قَزعة : سحَابة .

(٦) أَغْدَق : كَثُر .

(٧) اغدودق : كثر كذلك .

(٨) الثمال : تقدم الكلام عليه فى أسمائه ﷺ .

(٩) ذو المجاز : مكان على فرسخ من عرفة .

٢ـ فى سفره ﷺ مع عمه الزبير بن عبد المطلب إلى اليمن :

قال ابن الجوزى فى «الوفا» : لما أتت لرسول الله ﷺ بضع عشرة سنة خرج فى سفر مع عمه الزبير، فمروا فى وادٍ فيه فَحْل من الإبل يمنع من يجتاز، فلما رآه البعير برَك وحكَّ الأرض بكَلْكَله[1]، فنزل عن بعيره وركبه فسار حتى جاوز الوادى ثم خلَّى عنه، فلما رجعوا من سفرهم مرُّوا بوادٍ مملوء ماء يتدفق فوقفوا، فقال رسول الله ﷺ : «اتبعونى» . ثم اقتحمه فاتبعوه فأيبس الله الماء . فلما وصلوا إلى مكة تحدثوا بذلك، فقال الناس : إن لهذا الغلام شأناً .

٣ـ فى سفره ﷺ مع عمه أبى طالب إلى الشام :

روى ابن سعد وابن عساكر عن داود بن الحُصين ـ بضم الحاء وفتح الصاد المهملتين ـ أن رسول الله ﷺ كان ابن اثنتى عشرة سنة . قال البلاذرى : وهو الثبت .

وروى أبو نعيم عن على بن أبى طالب ﷺ وابن سعد وابن عساكر عن عبد الله ابن محمد بن عقيل، وابن سعد عن عبد الرحمن بن أَبْزَى، والبزار والترمذى ـ وحسَّنه ـ عن أبى موسى الأشعرى، وابن سعد عن داود بن الحصين، وأبو نعيم عن محمد بن عمر الأسلمى، والبيهقى عن محمد بن إسحاق قالوا : إن أبا طالب أَراد المسِير فى رَكْب إلى الشام فقال له رسول الله ﷺ : أَى عم إلى من تُخلِّفنى ها هنا ؟ وصَبَّ به[2] رسول الله ﷺ فرقَّ له أبو طالب، فلما سارا أردفه خلفه فخرج به فنزلوا على صاحب دَير، فقال صاحب الدير : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى . قال : ما هو بابنك، وما ينبغى أن يكون له أب حى . قال : ولِمَ ؟ قال : لأن وجهه وجه نبىّ، وعينه عين نبىّ. قال : وما النبى ؟ قال : الذى يوحى إليه من السماء فيُنْبئ أهل الأرض . قال : الله أجلّ مما تقول . قال : فاتق عليه اليهود .

---

(١) الكَلْكل والكَلكال : الصَّدْر .

(٢) قال الصالحى ـ رحمه الله : وصَبَّ به : بصاد مهملة فباء موحدة ـ : أى مال إليه ورقَّ عليه . ويروى وضَبث به بضاد معجمة فباء موحدة فمثلثة، أى : تعلَّق به وأمسك .

ثم خرج حتى نزل براهب أيضاً صاحب دَير فقال : ما هذا الغلام منك ؟ قال : ابنى . قال : ما هو بابنك، وما ينبغى أن يكون له أَب حىّ . قال : ولم ؟ قال : لأن وجهه وجه نبى، وعينه عين نبى . قال : سبحان الله ! أجلّ مما تقول .

وقال أبو طالب للنبى ﷺ : يا بن أخي، ألا تسمع ما يقولون ؟ قال : أى عم، لا تُنكر لله قُدرة .

٤ ـ خبر بحيرا[1] :

فلما نزل الركب بُصرَى وبها راهب يقال له: بَحيرا فى صومعة له، قال ابن إسحاق : وكان أَعلم أهل النصرانية، فلما نزلوا ذلك العام ببحيرا، وكانوا كثيراً ما يمرّون به قبل ذلك لا يكلمهم ولا يَعرض عليهم، حتى إذا كان ذلك العام نزلوا قريباً من صومعته[2]، فرأى وهو فى صومعته رسول الله ﷺ فى ركبٍ حين أقبلوا وغمامة تظله من بين القوم، ثم أقبلوا فنزلوا فى ظلِّ شجرة قريباً منه، فنظر إلى الغمامة حين أظلت الشجرة وتهصّرت[3] أغصان الشجرة على رسول الله ﷺ حين استظل تحتها، فلما رأى بحيرا ذلك نزل من صومعته وجعل يتخلَّلهم، حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ وقال : هذا سيِّد العالمين، هذا يبعثه الله رحمة للعالمين . فقال له أشياخ من قريش : وما عِلمك ؟ قال : إنكم حين أشرفتم من العقبة لم يمرّ بشجر ولا حَجر إلا خرَّ ساجداً ولا يسجدان إلا لنبي، وإنى أعرفه بخاتم النبوة فى أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة . ثم رجع وأمر بطعام كثير فصنع ثم أرسل إليهم

---

(١) قال الصالحى ـ رحمه الله : بحيرا بباء موحدة مفتوحة فحاء مهملة مكسورة فراء فألف، قال غير واحد : مقصورة، ورأيت بخط مُغَلطَاى وصاحب الغُرر وغيرهما عليها مدّة . فالله تعالى أعلم .
قال المسعودى : واسمه : سرجس، كذا فيما وقفت عليه من نسخ الرَّوض . وفى النسخ التى وقفت عليها من الإشارة : جرجيس بكسر الجيمين بينهما راء وبعد الثانية مثنّاة تحتية فسين مهملة .
وهكذا رأيته بخط صاحبها فى «الزهر» وصحح عليه . وكذلك هو فى الإصابة للحافظ . وجزم الذهبى فى ترجمة أبى الفتح سعيد بن عقبة من «الميزان» بأن بحيرا لم يدرك البعثة . وأقرَّه الحافظ فى اللسان . وهو غير مصروف للعجمة والعلمية . وهو فى الأصل اسم نبى .

(٢) الصَّومعة : منزل الراهب، سميت بذلك؛ لأنها محدَّدة الرأس، من قولهم : ثَريدة مُصمَّعة؛ إذا دُقَّت وحدِّد رأسُها .

(٣) تهصَّرت : مالت وتدلت عليه .

فقال : إنى صنعت لكم طعاماً يـا معـشر قـريش، وإنـى أحـب أن تحـضروا كلكـم صغيركم وكبيركم، وحُرّكم وعبدكم .

فقال رجل : يا بحيرا، إن لك اليوم لشأناً ما كنت تصنع هذا فيما مضى، وقد كنا نمرّ بك كثيراً، فما شأنك ؟

فقال بحيرا : صدَقت قد كان ما تقول، ولكنكم ضَيف وقد أحببت أن أكرمكم وأَصنع لكم طعاماً تأكلون منه فاجتمعوا إليه فلما أتاهم به وكان رسول الله ﷺ راح مع من يرعى الإبل وفى رواية : فتخلف رسول الله ﷺ من بين القوم لحداثة سنه فى رحال القوم.

فلما نظر بحيرا لم يجد الصفة التى يعرف ووجد عنده، فقال : يا معشر قريش، لا يتخلَّف أحدٌ منكم عن طعامى هذا، قالوا : ما تخلف عنك أحد يأتيك إلا غلام هـو أَحدث القوم سنّاً، تخلَّف فى رحالنا . فقال : لا تفعلوا، ادعوه فليحضر هذا الطعام . فقام الحارث بن عبد المطلب فأتى به، فلما أقبل وعليه غمامة تُظله.

فقالوا : انظروا عليه غمامة تظله . فلما دنـا مـن القـوم وجـدهم سـبقوه إلى فىء الشجرة، فلما جلس مال فىء الشجرة عليه.

فقال : انظروا مال فَىء الشجرة عليه، هذا نبى هذه الأمـة الـذى يرسـله الله إلى الناس كافة .

وفى «الزّهر» نقلاً عن محمد بن عمر الأسلمى : أن رسول الله ﷺ لمّا فـارق تلـك الشجرة التى كان جالساً تحتها وقام انفلقت من أصلها حين فارقها، وجعل يَلحظـه لحظاً شديداً ينظر إلى أشياء فى بدنه قد كان يجده عنده فى صفته، وقال لقومـه : هـذه الحُمْرة التى فى عينيه تأتى وتذهب أو لا تفارقه ؟

قالوا : ما رأيناها فارقته قط . فأَقبـل عـلى النبـى ﷺ فقـال : يـا غـلام، أَسـألك باللات والعزى إلا ما أخبرتنى عما أَسألك عنه . وإنما قال له بحيرا ذلك؛ لأنه سمع قومه يحلفون بهما.

فقال له رسول الله ﷺ : «لا تسألنى باللات والعزى، فوالله ما أبغضت بُغضهما شيئًا» .

فقال له بحيرا : فبالله إلا ما أخبرتنى عما أَسألك . فقال:«سلنى عما بدا لك». فجعل يسأله عن أشياء من حال نومه ويقظته، وجعل رسول الله ﷺ يخبره، فوافق ذلك ما عند بَحِيرا من صفته، ثم نظر إلى ظهره فرأى خاتم النبوة بين كتفيه على موضعه من صفته عنده، فلما فرَغ منه أقبل على عمه أبى طالب فقال : ما هذا الغلام منك ؟

قال: ابنى . فقال بحيرا : ما هو بابنك، وما ينبغى لهذا الغلام أن يكون له أب حى .

قال : فإنه ابن أخى .

قال : فما فعل أبوه ؟

قال : مات وأُمه حامل به .

قال : صدقت، ارجع بابن أخيك إلى بلدك، واحذر عليه اليهودَ، فوالله إن رأوه وعرفوا منه ما عرفت لَيَبْغُنَّهُ شرًّا، فإنه كائن لابن أخيك شأن . فأسرع به إلى بلاده، ولا تذهب به إلى الروم، فإن الروم إذا رأوه عرفوه بالصفة فيقتلونه[1].

والتفت عنه بحيرا فإذا هو بسبعة نفر قد أقبلوا من الروم فاستقبلهم فقال : ما جاء بكم ؟

قالوا : جئنا إلى هذا النبى الذى هو خارج فى هذا الشهر، فلم يبق طريق إلا بُعث إليه ناس وإنا قد أُخبرنا خبره بطريقك هذا .

قال : أَفرأَيتم أَمراً أَراد الله أن يقضيه هل يستطيع أحدٌ من الناس ردَّه ؟

قالوا : لا، فبايعوه وأقاموا معه . فأتى قريشاً فقال : أنشدكم بالله أيكم وليّه ؟

قالوا : أبو طالب، فلم يزل يناشده حتى رده أبو طالب وأرسل معه رجلاً، وزوَّدهم الراهب من الكعك والزيت .

---

(١) أخرجه ابن سعد (١/ ١٠٠)

وقال أبو طالب فى هذه السَّفْرة قصائد منها ما ذكره ابن إسحاق، وأبو هفان فى ديوان شعر أبى طالب :

إنَّ ابْـنَ آمِنَـةَ الأَمِـينَ مُحَمَّـداً ... عِنْـدِى بِمِثْـلِ مَنَـازِلِ الأَوْلادِ

لَمَّـا تَعَلَّـقَ بالزِّمَـامِ رَحِمْتُـهُ ... والْعِيسُ قَـدْ قَلَّصْنَ بـالأَزْوَادِ

فَارْفَضَّ مِـن عَيْنَـىَّ دَمْـعٌ ذَارِفٌ ... مِثْـلُ الجُـمَانِ مُفَـرَّقِ الأَفْـرَادِ

رَاعَيْـتُ مِنْـه قَرَابَـةً مَوْصُـولَةً ... وحَفِظتُ فِيـهِ وَصِيَّةَ الأَجـدَادِ

وَأَمَرْتُـه بالـسَّيْرِ بَـين عُمُومَـةٍ ... بيضِ الوجُـوهِ مَـصَالِتٍ أَنجَـادِ

سَـاروا لأَبْعَـدِ طَيَّـةٍ مَعْلُومَـةٍ ... فلَقَـد تَباعَـدُ طَيَّـةُ المُرتَـادِ

حَتَّى إذا مَا القَومُ بُصْرَى عـايَنُوا ... لاقـوا عَـلَى شَرَكٍ مِـنَ المِرْصَـادِ

حَـبْراً فَـأَخْبَرَهُمْ حَـديثاً صَـادقاً ... عنْـهُ وَرَدَّ مَعَـاشِرَ الحُـسَّادِ

قَوماً يَهوداً قَـدْ رَأوا مَـا قَـدْ رَأَى ... ظـلَّ الغَمَامـة ثَـاغرى الأَكبـادِ

سَـاروا لِفَتْـكِ مُحَمَّـدٍ فَنَهَـاهُمُ ... عنْـهُ وَأَجْهـدَ أَحْسَنَ الإجْهـادِ

فَثَنَـى زُبَـيْراءَ بَحـيرٌ فَـانْثَنَى ... فى القَـوْمِ بَعْـدَ تَجَـادُلٍ وَتَعـادِ

وَنَهَـى دَريـساً فَـانتَهى لَمَّـا نُهـى ... عـنْ قَـوْلِ حَـبْرٍ نَـاطِقٍ بِـسَدَادِ

الأساس الحادى عشر : حفظ الله تعالى للنبى ﷺ فى فتوته وشبابه عما كان عليه أهل الجاهلية، واشتهاره بالأخلاق الفاضلة والصفات الحميدة قبل بعثته، وتعظيم قومه له ﷺ .

قال داود بن الحصين فيما رواه ابن سعد وابن عساكر، وابن إسحاق فيما رواه البيهقى وغيره : فشبَّ رسول الله ﷺ يَكْلؤه الله ويحفظه ويَحوطه من أقذار الجاهلية ومَعايبها، لِمَا يريد به من كرامته ورسالته، حتى بلغ أنْ كان رجلاً أفضلَ قومه مروءةً، وأحسنهم خُلقاً، وأكرمهم حسباً، وأحسنهم جِواراً، وأعظمهم حِلماً، وأصدقهم حديثاً، وأعظمهم أمانة، وأبعدهم من الفُحش والأخلاق التى تدنِّس

الرجال تنزُّهاً وتكرُّماً. ما رئى مُلاحياً[1] ولا مُمَارياً أحداً، حتى ما اسمُه فى قومه إلا الأمينِ لِمَا جمع الله فيه من الأُمور الصالحة .

وذكر أبو هاشم محمد بن ظفر فى «خَير البِشرَ بخير البَشَر» : حج أَكْثَمُ[2] بن صَيفى حكيمُ العرب، والنبىُّ ﷺ فى سن الحُلُم، فرآه أكثم فقال لأبى طالب : ما أسرع ما شبَّ أخوك ! فقال : ليس بأخى ولكنه ابن أخى عبد الله . فقال أكثم : أهو ابن الذبيحَين ؟ قال : نعم . فجعل يتوسَّمه، ثم قال لأبى طالب : ما تظنون به ؟ قال: نُحسن به الظن وإنه لَوفىٌّ سَخِىّ . قال : هل غير هذا ؟ قال : نعم، إنه لذو شدة ولين، ومجلس ركِين[3]، وفضل متين . قال : فهل غير هذا ؟ قال : إنَّا لنتيمَّن بمَشهده ونتعرَّف البركة فيما لمسه بيده . فقال أكثم : أقول غير هذا، إنه ليضرب العرب قامطةً ـ يعنى جامعة ـ بيد حائطة، ورِجل لائطة[4]، ثم ينعق بهم إلى مَرْتع مَريع[5]، ووِردٍ سريع[6]، فمن اخْرَوْرط[7] إليه هَداه، ومن احْرَوْرَف[8] عنه أَراده[9] .

وروى ابن سعد عن الربيع بن خُثَيم قال : كان يُتحاكم إلى رسول الله ﷺ فى الجاهلية قبل الإسلام .

قال ابن إسحاق : وكان رسول الله ﷺ يحدِّث عما كان الله يحفظه فى صغره من أَمر الجاهلية، وأنه قال : لقد رأَيْتُنى[10] فى غلمان من قريش ننقل حجارة لبعض ما يلعب به الصبيان، كلنا قد تعرَّى وأخذ إزاره وجعله على رقبته يحمل عليه الحجارة، فإنى لأقبل معهم وأُدبر؛ إذ لكمنى لاكمٌ لكمةً شديدةً ثم قال : شُدَّ عليك إزارك .

---

(١) مُلاحياً : مخاصماً لأحد ولا سابَّاً له .

(٢) أَكثَم : بثاءٍ مثلثة .

(٣) رَكين : أى له أركان عالية، أراد بذلك شدة قومه، وركن الشىء : جانبه .

(٤) لائطة ـ بمثناة تحتية مكسورة وطاء مهملة : أى لاصقة لازمة .

(٥) مريع : أى : كثير النماءِ والزيادة .

(٦) وِردٌ سريع : مجىء قريب

(٧) اخرورط ـ بخاء معجمة فراء فواو ساكنة فراء مهملة فطاء مهملة : أى مال إليه وتبعه .

(٨) احرورف عنه ـ بحاء فراء مفتوحة مهملتين فواو ساكنة فراء ففاء : أى عدل عنه .

(٩) أرداه : أهلكه .

(١٠) رأيتنى ـ بضم التاء : أى رأيت نفسى .

قال : فأخذته فشددته علىّ، ثم جعلت أنقل الحجارة على رقبتى، وإزارى علىّ من بين أصحابى .

وهذه القصة شبيهة بما وقع عند بناء الكعبة .

روى الطبرانى والبيهقى فى الدلائل من طريق عمرو بن قيس، وابن جرير فى التهذيب من طريق هارون بن المغيرة، وأبو نعيم فى المعرفة من طريق قيس بن الربيع، وفى الدلائل من طريق شُعيب بن خالد، كلهم عن سِماك بن حَرب وأبو نعيم من طريق الحكم بن أبان، كلاهما عن عِكرمة عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال : حدثنى أبى العباسُ بن عبد المطلب قال : لما بنت قريش الكعبة انفردت رجلين رجلين ينقلون الحجارة، فكنت أنا وابن أخى، فجعلنا نأخذ أُزرنا فنضعها على مناكبنا، ونجعل عليها الحجارة، فإذا دنونا من الناس لبسنا أُزرنا، فبينا هو أمامى، إذ صُرع فسعيت وهو شاخص ببصره إلى السماء فقلت : يا بن أخى، ما شأنك؟ قال : نُهيت أن أمشى عرياناً . قال : فكتمته حتى أظهره الله بنبوته .

وورد من حديث جابر وأبى الطفيل . ويأتيان .

وروى الترمذى وغيره عن أبى موسى أن بحيرا حين حلَّف النبى ﷺ باللات والعزى، قال له النبى ﷺ :« لا تسألنى باللات والعزى شيئاً فوالله ما أبغضت بُغضهما شيئاً»[1] .

وعن على ﷺ قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «ما هَمَمت بشىء مما كان أهل الجاهلية يَهُمُّون به من الغِناء إلا ليلتين كلتاهما عصمنى الله منهما[2] . قلت : ليلةً لبعض فتيان مكة ونحن فى رعاية غنم أهلنا، فقلت لصاحبى : أَبصر لى غنمى حتى أَدخل مكة فأَسْمُرَ[3] بها كما يسمر الفتيان . فقال : بلى، فدخلت حتى إذا جئت أول

(١) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٢٧) وابن سعد فى الطبقات (١/ ١/ ١٠٠) . قاله محققا سبل الهدى والرشاد .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١/ ٥٨) وابن حجر فى المطالب (٤٢٥٣) وذكره ابن كثير فى البداية والنهاية (٣/ ٢٨٧) . قاله محققا سبل الهدى والرشاد .

(٣) السمر : الحديث بالليل .

دارٍ من دور مكة سمعت عزفاً[1] وغرابيل[2] ومَزَامير . قلت : ما هذا ؟ قيل : تزوج فلان وفلانة . فجلست أنظر . وضرب الله على أُذني، فوالله ما أيقظني إلا مسّ الشمس، فرجعت إلى صاحبى فقال : ما فعلت ؟ فقلت : ما فعلتُ شيئاً، ثم أخبرته بالذى رأيت . ثم قلت له ليلةً أخرى : أَبصر لى غنمى حتى أَسمُر بمكة . ففعل، فدخلت فلما جئت مكة سمعت مثل الذى سمعت تلك الليلة، فجلست أنظر، وضرب الله على أُذنى، فوالله ما أيقظنى إلا مس الشمس، فرجعت إلى صاحبى فقال: ما فعلت؟ فقلت: لا شيء ثم أخبرته بالذى رأيت، فوالله ما هَمَمت ولا عُدْتُ بعدهما لشيء من ذلك حتى أكرمنى الله بنبوته». رواه ابن إسحاق وإسحاق ابن راهويه والبزار وابن حبان . قال الحافظ : وإسناده حسن متصل .

وعن ابن عباس ـ رضى الله عنهما ـ قال : لما نزلت ﴿ وَأَنذِرْ عَشِيرَتَكَ ٱلْأَقْرَبِينَ ﴾ [الشعراء] نادى رسول الله ﷺ فى قريش بَطناً بطناً فقال : «أرأيتم إن قلت لكم: إن خيلاً بسفح هذا الجبل أكنتم مصدقى ؟ » قالوا : نعم، ما جربنا عليك كَذباً قط[3] . رواه الشيخان .

وعن عائشة ـ رضى الله عنها ـ قالت : سمعت رسول الله ﷺ يقول : «سمعت زيد بن عمرو بن نُفيل يعيب كل ما ذبح لغير الله، فما ذُقت شيئاً ذبح على النُّصب حتى أكرمنى الله برسالته»[4] . رواه أبو نعيم .

وعن على ﷺ قال : قيل للنبى ﷺ : هل عبدت وثناً قط ؟ قال : «لا» . قالوا : فهل شربت خمراً قط ؟ قال : «لا، وما زلت أعرف أن الذى هم عليه كفر، وما كنت أدرى ما الكتاب ولا الإيمان» . رواه أبو نعيم وابن عساكر .

---

(١) العزف : قال فى الصحاح : المعازف : الملاهى، والعازف : اللاعب بها والمغنّى، وقد عزف عَزفاً .

(٢) الغرابيل : جمع غُربال، والمراد به هنا الدف، سمى بذلك، لأنه يشبه الغربال فى استدارته .

(٣) أخرجه البخارى (٨/ ٦٠٩) (٤٩٧١) ومسلم (١/ ١٩٣) (٣٥٥ـ٢٠٨) . قاله محققا سبل الهدى والرشاد .

(٤) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١/ ٥٩) وذكره المتقى الهندى فى الكنز (٣٤٠٨٠) قاله محققا سبل الهدى والرشاد .

وعن أم أيمن ـ رضى الله عنها ـ قالت : كان بُوانة صنماً تحضره قريش يوماً فى السَّنة، فكان أبو طالب يحضره مع قومه وكان يكلم رسول الله ﷺ أن يحضر ذلك معه فيأبى، حتى رأيت أبا طالب غضب عليه، ورأيت عمَّاته غضبن عليه وقلن :يا محمد، ما تريد أن تحضر لقومك عيداً ولا تكثر لهم جمعاً ؟! فلم يزالوا به حتى ذهب فغاب إلى ما شاء الله، ثم رجع مرعوباً فزعاً فقالت عماته : ما دهاك ؟ قال : أخشى أن يكون بى لمم، فقلن : ما كان الله يَبْتليك بالشيطان وفيك من خصال الخير ما فيك، فما الذى رأيت ؟ قال : إنى كلما دنوت من صنم منها تمثل لى رجل أبيض طويل يصيح بى : وراءك يا محمد، لا تمسَّه . قالت : فما عاد إلى عيد لهم . رواه ابن سعد وأبو نُعيم وابن عساكر .

وعن جُبير بن مُطعم قال : لقد رأيت رسول الله ﷺ فى الجاهلية وهو يقف على بعير له بعرفات من بين قومه حتى يدفع معهم؛ توفيقًا من الله تعالى له .

وعن عائشة رضى الله عنها قالت : كانت قريش ومن دان دينها وهم الحُمْس[1] يقفون عشية عرفة بالمُزْدَلفة ويقولون :نحن قطن البيت[2] . وكانت بقية الناس والعرب يقفون بعرفات فأنزل الله عز وجل : ﴿ ثُمَّ أَفِيضُواْ مِنْ حَيْثُ أَفَاضَ ٱلنَّاسُ ﴾ [البقرة : ١٩٩]، فتقدموا فوقفوا مع الناس . رواه الشيخان .

وروى يعقوب بن سفيان عن الزُّهرى : أن قريشاً سمَّت رسول الله ﷺ الأمين قبل أن ينزل عليه الوحى، فطفقوا ألا ينحروا جزوراً إلا التمسوه فيه فيدعو لهم فيها .

وروى الشيخان من حديث عائشة فى حَديث بدء الوحى لما أتاه جبريل بالوحى، قال لخديجة : «لقد خشيت على نفسى»، وأخبرها الخبر . فقالت له : كلا أبشر، فوالله لا يُخزيك الله أبداً، إنك لتصل الرحم، وتصدق الحديث، وتحمل الكلَّ، وتَكسب المعدوم، وتقرى الضيف، وتعين على نوائب الحق .

---

(١) الحُمس : يقال حَمِس بالكسر فهو أحمَس، أى : شديد صُلب فى الدِّين والقتال، ومنه : حُمس قريش ومن ولدت: وكنانة وجديلة وقيس .

(٢) قُطْن البيت : أى سُكَّانه، جمع قاطن .

تنبيهات[1] :

الأول : ما ذكره ابن إسحاق من قصة تعرِّيه ﷺ وأنه فى صغره وأنه أُمر بالستر، قال السُّهيلى وتبعه ابن كثير وأبو الفتح والحافظ : إن صحَّ حُمل على أن هذا الأمر كان مرتين مرة فى حال صغره، ومرة فى أول اكتهاله عند بنيان الكعبة . واستبعد ذلك مُغلَطَاى فى كتابيه «الزّهر» و«دلائل النبوة» بأنه ﷺ إذا نهى عن شىء مرة لا يعود إليه ثانياً بوجه من الوجوه . وأيضاً فى حديث العباس ـ أى : الآتى فى باب بناء البيت : أنه لأول ما نودى .

وأما ما رواه ابن سعد وأبو نعيم وابن عساكر من طريق النضر بن عبد الرحمن عن ابن عباس ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال : كان أبو طالب يعالج زمزم، وكان النبى ﷺ ينقل الحجارة وهو غلام يأخذ إزاره ويتَّقى به الحجارة فغُشى عليه، فلما أفاق سأله أبو طالب فقال : أتانى آتٍ عليه ثيابٌ بيض فقال لى : استتر، فكان أول شىء رآه رسول الله ﷺ من النبوة أن قيل له : استتر، وهو غلام . قال : فما رُئيت عورته من يومئذ[2]. فقد قال الحافظ فى الفتح : إن النضر ضعيف، وقد خبط فى إسناده وفى متنه، فإنه جعل القصة فى معالجة زمزم ولم يذكر العباس . وقد قدمنا أن عكرمة والحكم بن أبان رويا القصة عن ابن عباس عن أبيه فى قصة بناء البيت .

الثانى : روى أبو يعلى وابن عدى والبيهقى وابن عساكر عن جابر بن عبد الله رضى الله عنهما قال : كان رسول الله ﷺ يشهد مع المشركين مشاهدهم، فسمع ملكين خلفه وأحدهما يقول لصاحبه : اذهب بنا حتى نقوم خلف رسول الله ﷺ، فقال : كيف نقوم خلفه وإنما عهده باستلام الأصنام قُبَيل ؟ فلم يعد بعد ذلك يشهد مع المشركين مشاهدهم .

وقول الملكين:وإنما عهده باستلام الأَصنام، قال الطبرانى والبيهقى : يعنى : أنه

(١) قالها الصالحى ـ رحمه الله ـ فى سبل الهدى والرشاد .

(٢) أخرجه أبو نعيم فى الدلائل (١٤٥) . قاله محققا كتاب سبل الهدى والرشاد .

شهد مع من استلمها، والمراد بالمشاهد التى شهدها مشاهد الحلف ونحوها لا مشاهد استلام الأصنام .

وقال الحافظ فى المطالب العالية : هذا الحديث أنكره الناس على عثمان بن أبى شَيْبة فبالَغوا : والمنكَر منه قوله عن الملك : «عهده باستلام الأصنام»، فإن ظاهره أنه باشر الاستلام وليس ذلك مرادًا، بل المراد أنه شهد مباشرة المشركين استلام أصنامهم . انتهى .

الأساس الثانى عشر: فى شهوده ﷺ حرب الفِجَار[1] :

وكان فى شوال، كما قاله الواقدى . وقيل : فى شعبان كما فى الرّوض .

لما بلغ رسول الله ﷺ أربع عشرة أو خمس عشرة فيما قال ابن هشام، وقال ابن إسحاق : عشرين سنة، كان قبل المبعث بعشرين سنة هاجت حرب الفِجَار بين قريش ومن معها من كِنانة وبين قيس عيلان . وكان الذى هاجها أن عروة الرَّحَّال ابن عتبة أجار لطيمةً للنعمان بن المنذر، فقال البرَّاض بن قيس أحد بنى ضَمرة : أَتُجِيرها على كِنَانة؟ قال: نعم وعلى الخَلق . فخرج فيها عروة الرَّحال وخرج البرَّاض يطلب غفلته، حتى إذا كان بتَيْمَن ذى طِلال بالعالية غفل عروة، فوثب عليه البراض فقتله فى الشهر الحرام؛ فلذلك سمى الفِجَار. فأتى آتٍ قريشاً فقال: إن البراض قد قتل عروة، وهم فى الشهر الحرام بعُكاظ . فارتحلوا وهوازن لا تشعر، ثم بلغهم الخبر، فاتبعوهم فأدركوهم قبل أن يدخلوا الحرم، فاقتتلوا حتى جاء الليل ودخلوا الحرم، فأمسكت عنهم هوازن، ثم التقوا بعد هذا اليوم أيامًا: وكان لكنانة وقيس فيه ستة أيام مذكورة : شَمْطَة[2] ويوم العَبْلاء[3] وهما عند عُكاظ، ويوم الشَّرَب[4] وهو أعظمها يوماً، وفيه قيَّد أبو سُفيان وأُمية وحرب أبناءُ أُمية أنفسهم

(١) الفِجار ـ بكسر الفاء بمعنى : المفاجرة، كالقتال بمعنى المقاتلة، وذلك أنهم كان قتالهم فى الشهر الحرام ففجروا فيه جميعًا فسمى الفِجار . وكانت للعرب فجارات أربع ذكرها المسعودى .

(٢) شمطة : اسم مكان .

(٣) يوم العبلاء ـ بعين مهملة مفتوحة فباء ساكنة فلام معجمة .

(٤) يوم الشَّرب ـ بشين معجمة فراء مفتوحتين فباء موحدة .

كيلا يفرُّوا فسُمُّوا العَنَابس[1]،ويوم الحُرَيْرَة[2] عند نخلة[3] انهزمت قريش إلا بنى نصر منهم فإنهم ثبتوا، وشهد رسول الله ﷺ بعض أيامهم، أخرجه أعمامه معهم .

وروى ابن سعد أن رسول الله ﷺ قال : قد حضرتُه ـ يعنى : حرب الفجار ـ مع عمومتى ورميت فيه بأسهم ، وما أُحب أنى لم أكن فعلته، وكنت أنبِّل على أعمامى[4] .

وكان آخر أيام الفجار أن هوازن وكنانة تواعدوا للعام القابل بعكاظ فجاؤوا للموعد، وكان حرب بن أُمية رئيس قريش وكنانة، وكان عُتبة بن ربيعة يتيماً فى حجره فضربه حرب وأشفق من خروجه معه، فخرج عتبة بغير، إذنه فلم يشعر إلا وهو على بعيره بين الصفَّين ينادى : يا معشر مُضر،عَلَام تَفَانَون ؟ [5] فقالت له هوازن : ما تدعو إليه ؟ قال : الصلح، على أن ندفع لكم دية قتلاكم وتعفوا عن دمائنا. قالوا : وكيف ذاك ؟ قال : ندفع إليكم رُهُنا منا . قالوا : ومن لنا بهذا ؟ قال: أنا . قالوا : ومن أنت ؟ قال : أنا عُتبة بن ربيعة بن عبد شمس . فرضوا ورضيت كنانة، ودفعوا إلى هوازن أربعين رجلاً فيهم حكيم بن حزام، فلما رأت بنوعامر بن صعصعة الرهن فى أيديهم عفوا عن الدماء وأطلقوهم، وانقضت حرب الفجار.

وكان يقال : لم يسُد من قريش مُملق ـ يعنى فقيراً ـ غير عُتبة وأبى طالب، فإنهما سادا بغير مال .

تنبيه : ذكر السهيلى أن النبي ﷺ لم يقاتل فى حرب الفجار . وقد تقدم عن ابن سعد أن رسول الله ﷺ قاتل فيه .

---

(١) العنابس ـ بعين مهملة فنون مخففة فألف فباء موحدة مكسورة فسين مهملة : جمع عنبس وهو الأسد. قال فى الصحاح : العنابيس من قريش : أولاد أُمية بن عبد شمس الأكبر وهم ستة : حرب وأبو حرب وسفيان وأبو سفيان وعمرو وأبو عمرو، وسُمُّوا بالأسد، والباقون يقال لهم : الأعياص، بعين مهملة فمثناة تحتية فصاد مهملة، وهم أولاد أمية بن عبد شمس الأكبر، وهم أربعة: العاص وأبو العاص والعيص أبو العيص .

(٢) الحريرة ـ بحاءٍ مهملة : تصغير حُرة .

(٣) نخلة ـ بلفظ واحد : شجر النخل موضع قريب من مكة .

(٤) أخرجه ابن سعد (١/ ١/ ٨) .

(٥) تفانون ـ بمثناة فوقية حذف منه أخرى : مأخوذ من الفناء .

الأساس الثالث عشر : فى رعيته ﷺ للغنم :

عن أبى هريرة ﷺ قال : قال رسول الله ﷺ :«ما بعث الله نبياً إلا راعى غنم» . فقال له أصحابه : وأنت يا رسول الله ؟ قال : «وأنها رعيتها لأهل مكة بالقراريط»[1] .

رواه ابن سعد والبخارى وابن ماجه .

وعن جابر بن عبد الله ـ رضى الله تعالى عنهما ـ قال : كنا مع رسول الله ﷺ نجنى الكَبَاث، فقال : «عليكم بالأسود منه فإنه أَطيَبه، فإنى كنت أَجنيه إذ كنت أرعى الغنم» . قلنا : وكنت ترعى الغنم يا رسول الله ؟ قال : «نعم . وما من نبى إلا وقد رعاها»[2] . رواه الإمام أحمد وابن سعد والشيخان .

وروى أبو داود الطيالسى والبغوى وابن منده وأبو نُعَيم وابن عساكر عن بشر ابن حرب البصرى مرسلاً، والإمام أحمد وعَبْد بن حُميد عن أبى سعيد ﷺ قالا : افتخر أهل الإبل والشاء، فقال رسول الله ﷺ : «بُعث موسى وهو راعى غنم، وبعث داود وهو راعى غنم، وبُعثت وأنا راعى غنم لأهلى بأجياد»[3] .

تنبيهات :

الأول : قال العلماء ـ رضى الله تعالى عنهم : الحكمة فى إلهام رعى الغنم قبل النبوة : أن يحصل لهم التمرُّن برَعيها على ما سيكلَّفون من القيام بأمر أُمتهم، ولأن فى مخالطتها ما يحصِّل الحِلم والشفقة؛ لأنهم إذا صبروا على رعيها وجمعها بعد تفرقها فى المرعى، ونقلها من مسرحٍ إلى مسرح، ودفع عدوها من سبع وغيره كالسارق، وعلموا اختلاف طباعها وشدة تفرقها مع ضعفها واحتياجها إلى المعاهدة أُلِفوا من

---

(١) أخرجه البخارى (٣/ ١١٦) وابن ماجه (٢١٤٩) والبيهقى فى السنن (٦/ ١١٨) وأبو نعيم فى الدلائل (١/ ٥٥) قاله محققا سبل الهدى والرشاد .

(٢) أخرجه البخارى (٤/ ١٩١) ومسلم (٣/ ١٦٢١) (١٦٣ ـ ٢٠٥) وأحمد فى المسند (٣/ ٣٢٦) . قاله محققا سبل الهدى والرشاد .

(٣) أخرجه أحمد فى المسند (٣/ ٩٦) وابن سعد فى الطبقات (١/ ١/ ٨٠) وابن المبارك فى الزهد (٤١٦). قاله محققا سبل الهدى والرشاد .

ذلك الصبر على الأُمة، وعرفوا اختلاف طباعها وتفاوت عقولها، فجبروا كسيرها ورفقوا بضعيفها وأحسنوا التعاهد لها، فيكون تحملهم لمشقة ذلك أسهل مما لو كلِّفوا القيام بذلك؛ من أول وهلة لما تحصل لهم من التدريج على ذلك برعى الغنم، وخصت الغنم بذلك لكونها أضعف من غيرها، ولأن تفرقها أكثر من تفرق الإبل والبقر لإمكان ضبط الإبل والبقر بالربط دونها فى العادة المألوفة، ومع أكثرية تفرقها فهى أسرع انقياداً من غيرها . وفى ذِكر النبى ﷺ لذلك بعد أن عَلِم أنه أكرم الخلق على الله تعالى ما كان عليه من عظيم التواضع لربه، والتَّصريح بمِنَّته، عليه وعلى إخوانه من الأنبياء ﷺ وعليهم أجمعين .

الثانى : فى فتاوى الشيخ ـ رحمه الله تعالى ـ نقلاً عن الحنفية والمالكية والحنابلة ومقتضى مذهب الشافعى أنه يعزَّر من قال: كان النبى ﷺ راعى غنم . إذا عيَّر برعيها .

الثالث : فى بيان غريب ما سبق :

رعيته ـ بكسر الراء المراد : الهيئة . والغنم : منصوب مفعول المصدر وهو رِعْيته .

على قراريط : قال الحافظ : على بمعنى الباء، وهى للسببية . وقيل : إنها للظرفية كما سيتبين . وفى رواية ابن ماجه، عن سُوَيد بن سعيد، والإسماعيلى عن حسَّان بن محمد كلاهما عن عمرو بن يحيى : «كنت أَرعاها لأهل مكة بالقراريط» . قال : سويد بن سعيد : يعنى كل شاة بقيراط . يعنى القيراط الذى هو جزء من الدينار أو الدرهم .

وقال الإمام أبو إسحاق الحَرْبى : قراريط : اسم موضع بمكة ولم يرد القراريط من الفضة . وصوَّبه ابنُ الجوزى تبعاً لابن ناصر وخطَّأ سُوَيدًا فى تفسيره .

قال الحافظ : لكن رجح الأول لأن أهل مكة لا يعرفون بها مكاناً يقال له قراريط. وزعم بعضهم أن فى قوله ﷺ فى الرواية الأخرى : «وبعثت وأنا راعى غنم بأَجياد» ردًّا لتأويل سُوَيد؛ لأنه ما كان يرعى بالأجرة لأهله، فتعين أنه أراد المكان، فعبر تارة بأجياد وتارة بقراريط .

وليس الردّ بجيد؛ إذ لا مانع من الجمع بأن يرعى لأهله بغير أجرة وغيرهم بأجرة .والمراد بقوله : «أهلى» : أهل مكة، فيتحد الخَبَران، ويكون فى أحد الحديثين بيَّن الأجرة وفى الآخر بيّن المكان، فلا تنافى فى ذلك .

وقال بعضهم : لم تكن العرب تعرف القراريط الذى هو من النقد، ولذلك جاء فى الصحيح : «ستفتحون أَرضاً يذكر فيها القيراط»، وليس الاستدلال لما ذكر من نفى المعرفة بواضح . انتهى كلام الحافظ .

قلت : تأويل سعيد هو الذى فهمه الإمام البخارى وهو الأجرة؛ ولذا ذكره فى الإجارة .

الكَبَاث ـ بكاف فباء موحدة مفتوحتين فألف فثاء مثلثة : النَّضيج من ثَمَر الأَراك .

جِيَاد : موضع بأسفل مكة معروف من شِعابها، ذكَره بغير هَمز البكْرىُّ فى معجمه .

أَجياد : بفتح أوله وإسكان ثانيه وبالمثناة التحتية والدال المهملة : كأنه جمع جيِّد، موضع من بطحاء مكة من منازل قريش، فإذاً يقال له جياد و أجِيَاد بالهمز وعدمه .